الكَونُ المَنفِيّ في القرآنِ الكريمِ
دراسة في ضوء نظرية السياق

الدكتور

محمد راضي محمد الزيني

أستاذ العلوم اللغوية المساعد

بقسم اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب جامعة بورسعيد

الكَونُ المَنفِيّ في القرآن الكريمِ دراسة في ضوء نظرية السياق

محمد راضي محمد الزيني
قسم اللغة العربية وآدابها كلية الآداب -جامعة بورسعيد- مصر.
البريد الإلكتروني: dr.radyrady@yahoo.com

ملخص البحث: لم يخصص النحاة للنفي بابًا منفردًا في كتب التراث النحوي، وإنما تناثرت قضايا النفي وأحكامه في ثنايا أبواب النحو الأخرى، ولعل السبب البارز في عدم استقلال النفي عن غيره من أبواب النحو يكمن في تمركز النحاة الدائم حول نظرية العامل ، وما يترتب عليها من فكرة التأثير و التأثر داخل بنية الجملة .

وبناءً على ما تقدم ؛ فقد نهضت هذه الدراسة لتتخذ من النفي مبحثًا مستقلًا بذاته ، وهو مبحث له أركانه و أدواته المستقلة ، متخذة من القرآن الكريم حقلاً لغوياً تطبيقياً ، حول فرع واحد من فروع النفي وهو ما اصطلح عليه النحاة ، وكذلك المفسرون بـ (الكون المنفي) ، مستمدة من الدرس الدلالي في ضوء نظرية السياق أساسًا نظريًّا ، مع الاتكاء على المنهج الوصفي بوصفه أداة بحثية تتسق وطبيعة التحليل الدلالي للنصوص .

تحاول الدراسة الإجابة عن عدة تساؤلات منها: هل كل سياق صدّر بكون منفي يعكس حتمًا دلالة النفي ؟ أم هناك دلالات أخرى من الممكن أن تنبسق عن سياق صُدّر بكونٍ منفي ؟ ، وهل خرج الكون المنفي عن دلالة النفي إلى دلالات أخرى ؟ وما تلك الدلالات ؟ وما أنماط النفي المقرون بسياق الكون المنفي ؟

الكلمات المفتاحية : (النفي ، الجحد ، الكون المنفي ، السَلب ، السياق)

The Negative Being Verb in the Holy Quran. Study in light of context theory. "

Muhammed Rady Muhammed Al-Zeainy
Assistant Professor of Linguistics, Department of Arabic Linguistics and Literature Faculty of Arts, Port Said University Summarized
Email: dr.radyrady@yahoo.com

Abstract: The grammarians did not devote the negation to a single chapter in the books of the grammatical heritage, but rather the negation and its issues and rulings were presented within the folds of other grammatical chapters, such as asserting the present tense, or its accusative. Perhaps the prominent reason for the non-independence of the negation from other chapters of grammar lies in the permanent concentration of the grammarians around the theory of the worker And the consequent idea of influence and influence within the structure of the sentence. Based on the above; This study has risen ttake from the negation an independent study in itself, and it is a study that has its own pillars and tools, taken from the Holy Qur'an an applied linguistic field, about one branch of the branches of negation, which is what the grammarians, as well as the commentators, have termed (The Negative Being verb), derived from the lesson Semantic in light of context theory, with a theoretical basis, with reliance on the analytical method. As an approach consistent with the nature of semantic analysis. The study tries to answer several questions, including: Does every context issued as an exile necessarily reflect the significance of negation? Or are there other connotations that could be reflected in a context that was exported in an exile? And did the exiled universe deviate from the sign of negation to other connotations? What are these indications? What are the patterns of negation associated with the context of the Negative Being Verb ?

Keywords: (negation, denial, exiled universe, dispossession, context)

المقدمة

لم يخصص النحاة للنفي بابًا منفردًا في كتب التراث النحوي ، وإنما ظل النفيُ – ومازال – بابًا غير مستقل بذاته داخل أبواب النحو العربي ، على الرغم من تعددها وتنوعها ؛ فقد ظل تناول النحاة للنفي تناولًا ضمنيًّا ؛ حيث يتم طرح النفي وقضاياه وأحكامه داخل ثنايا أبواب النحو الأخرى ، مثل جزم المضارع ، أو نصبه ، في الوقت الذي أفردوا فيه للشرط باباً ، كما خصصوا للاستفهام باباً ... إلخ .

ولعل السبب البارز في عدم استقلال النفي عن غيره من أبواب النحو يكمن في تمركز النحاة الدائم حول نظرية العامل ، وما يترتب عليها من فكرة التأثير و التأثر داخل بنية الجملة ؛ ومن ثم كانت دراسة النفي داخل الأبواب المرتبطة بجزم المضارع ، أو نصبه ، أو غيرها من الأبواب التي تدرس أدوات أخرى تصاحبها أدوات النفي ، وتتجلى هيمنة نظرية العامل في ورود أدوات النفي في معرض تناول النحاة للنواسخ الفعلية ، مثل: كان و أخواتها وغيرها، مثل تناولهم (ليس) ، وكذلك (ما ، ولا ، ولات ، وإن) المشبهات بها، في الوقت الذي وردت فيه أدوات أخرى مثل :(لن) في معرض تناولهم مبحث نصب المضارع ، وتناولهم (لم ، ولما) ، في معرض حديثهم عن جزمه.

وبناءً على ما سبق تقدم ؛ فقد نهضت هذه الدراسة ؛ لتتخذ من النفي مبحثًا مستقلاً بذاته ، وهو مبحث له أركانه و أدواته المستقلة ، متخذة من القرآن الكريم حقلاً لغوياً تطبيقياً حول فرع واحد من فروع النفي وهو ما اصطلح عليه النحاة ، وكذلك المفسرون بـ (الكون المنفي) ، مستمدة – أعني هذه الدراسة – من الدرس الدلالي في ضوء نظرية السياق أساساً نظرياً، مع الاتكاء على المنهج الوصفي ؛ بوصفه منهجاً يتسق مع طبيعة التحليل الدلالي للنصوص .

أسأل الله – جل في علاه – العون والتوفيق ..

خطة الدراسة

جاءت هذه الدراسة في تمهيد ، تلاه مبحثان ، كل مبحث منهما ذو مطلبين ، ثم خاتمة متبوعة بثبت يتضمن المصادر والمراجع التي اعتمد عليها الباحث .

وبيان ذلك على النحو الآتي :

التمهيد : (الكلمات المفاتيح ، وقضاياها النظرية) .

المبحث الأول : الكون المنفي " لفظًا ومعنى " :

- المطلب الأول : (النفي المطلق) .
- المطلب الثاني : (النفي المقيد) .

المبحث الثاني : الكون المنفي " لفظًا دون معنى " :

- المطلب الأول : (خروج الكون المنفي على دلالة النفي) .
- المطلب الثاني : (الكون المنفي ودلالة نفي الانبغاء) .

الخاتمة .

المصادر والمراجع .

التمهيد

(الكلمات المفاتيح ، وقضاياها النظرية)

أولاً : تأصيل مصطلح (الكون المنفي) :

المقصود بمصطلح (الكون المنفي) في تصور الباحث هو : ذلك التركيب اللغوي المكون من الفعل " كان " بأزمنته المتعددة ومشتقاته ، مسبوقًا بأداة من أدوات النفي ، أو ما يؤدي دلالتها ، والتي يصح دخولها عليه ، متبوعاً بسياق قد يعكس دلالة النفي لفظًا ومعنى ، أو دلالة النفي لفظًا دون المعنى إلا بقيد أو شرط ، أو سياق يعكس دلالة الانبغاء[1] .

وهذا التصور السابق من الباحث لمفهوم الكون المنفي ليس تصورًا نظريًّا أو افتراضيًا ، وإنما هو تصور منبثق من واقع دلالات السياق القرآني الذي ورد فيها ذلك التركيب اللغوي ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر ،جاء هذا التصور متسقًا مع تصور أسلافنا من النحويين حول (الكون المنفي) .

- **التساؤلات البحثية:**

و قد أضاف بحثنا هذا التمركز حول نظرية السياق ؛ بغية الإجابة عن عدة تساؤلات هي :

- هل كل سياق صدّر بكون منفي يعكس حتماً دلالة النفي ؟ أوهناك دلالات أخرى من الممكن أن تنعكس عن سياق صُدّر بكونٍ منفي ؟ ،
- هل خرج الكون المنفي عن دلالة النفي إلى دلالات أخرى ؟
- وما تلك الدلالات ؟
- وما أنماط النفي المقرون بسياق الكون المنفي ؟ وتسعى الدراسة إلى الإجابة عن تلك التساؤلات ، ارتكازًا على البعد السياقي .

---

١ نفي الانبغاء : يقصد به نمط من أنماط النفي يؤول فيه المعنى بقولنا : ما كان ينبغي ، أو ما ينبغي .

وتقتضي طبيعة البحث الإطلالة السريعة على المعنى اللغوي لكلمة (النفي) ؛ بغية عقد الصلة بينها وبين المعنى الاصطلاحي .

أولاً : المعنى اللغوي لكلمة (النفي):

الثابت في جل المعاجم أن : نفي الشيء : جحده وتبرأ منه ، ونفيته من المكان : نحيته عنه ، فانتفى ، ونفي فلان من البلد : أُخرج وطُّرد ، قال تعالى : (أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ) سورة المائدة ، آية ٣٣ ، وقد جاء في الحديث الشريف : (المدينة كالكير تنفي خبثها)[١] ، أي تخرجه عنها ، ونفيت الدراهم : أثرتها للانتقاد ، يقول الشاعر :

تنفي يداها الحَصى في كلّ هاجرةٍ نَفي الدّراهم ، تنقادُ الصَياريف[٢]

ويقال : انتفى الشجر من الوادي : ذهب ، ونفت السحابة ماءها : فرقته، نفي الشيء : أخبر أنه لم يقع[٣] .

والمتتبع للمادة المعجمية للمعنى اللغوي للنفي ،يلحظ أنها تدور في فلك معان عدة هي : الجحد ، والتنحية ، والطرد ، والإبعاد ، والتفريق ، وعدم الحدوث ، على أن أقرب المعاني اللغوية إلى طبيعة وظيفة النفي الدلالية هي : (نفي الشيء : أخبر أنه لم يقع) .

---

١ الحديث رواه البخاري في كتاب الحج ، باب المدينة تنفي شرارها ، رواه الترمذي في المناقب ، باب ما جاء في فضل المدينة .

٢ هذا البيت منسوب للفرذدق ، وورد في الكتاب ج٢٨/١ ، وكذلك : سر صناعة الإعراب لابن جني ، تحقيق ، د.حسن هنداوي ، ط٢ ، دار القلم ، دمشق ، ١٩٩٣م ، ٢٥/١ ، ٧٦٩/٢ ، كما ورد في الكامل في اللغة والأدب للمبرد ، تحقيق : حنا الفاخوري ،دار الجيل ، بيروت ، ط٢ ،١٩٩٧م ، ج٢١١/٢ .

٣ ينظر : ابن منظور : لسان العرب ، والزمخشري : أساس البلاغة ،ومجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط : مادة (ن ، ف ، ي) .

ثانيًا : المعنى الاصطلاحي لكلمة (للنفي):

تكاد تتفق رؤية النحاة من ناحية ، مع رؤية اللغويين من ناحية أخرى حول المعنى الاصطلاحي لمصطلح (النفي) ؛ فهذا (ابن يعيش ت ٦٤٣هـ) يرى أن النفي إكذاب للإثبات ؛ فيقول : (واعلم أن النفي إنما يكون على حسب الإيجاب ؛ لأنه إكذاب له ، فينبغي أن يكون على وفق لفظه ، لا فرق بينهما ، إلا أن أحدهما نفي ، والآخر إيجاب)[١] .

وربما كان أبو هلال العسكري أكثر دقة في تناوله لمصطلح النفي ؛ حيث يرى أن النفي هو (سلب معنى الجملة بإحدى أدوات النفي ، وهو خلاف الإثبات والإيجاب)[٢] .

ثالثًا : مصطلح (الكون المنفي) :

في محاولة لتأصيل هذا المصطلح في ثنايا كتب التراث النحوي ، فقد رصد الباحث المصطلح في بعض كتب التراث النحوي ، منها على سبيل المثال لا الحصر – كتاب (أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك) لابن هشام الأنصاري، حيث ذكر ابن هشام مصطلح (الكون المنفي) في معرض حديثه عن نصب المضارع إذ يقول :(ينصب المضارع بـ " أن " مضمرة وجوباً في خمسة مواضع : أحدها بعد اللام إن سبقت بكون ناقص ماض منفي، نحو "وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ"، العنكبوت الآية ٤٠، وكذلك في قوله تعالى: " لم يكن اللهُ ليغفرَ لهم " النساء الآية ١٣٧)[٣] .

---

١ موفق الدين يعيش بن يعيش ، شرح المفصل ، مكتبة المتنبي ، القاهرة ، د.ت، ج١٠٧/٨ .

٢ أبو هلال العسكري، الصناعتين، تحقيق، د. مفيد قميحة، ط٣ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٩م ، ص ٤٥٦ .

٣ ابن هشام الأنصاري : أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل – بيروت –لبنان ، الطبعة الخامسة ، ١٣٣٩هـ ، ١٩٧٩م ، ج ١٧٠/٤ .

كما ذكر ابن هشام مصطلح (الكون المنفي) في موضع آخر في قوله : (... وينصب بـ " أن " مضمرة جوازاً بعد خمسة أيضاً : أحدها اللام إذا لم يسبقها كون ناقص ماض منفي ، ولم يقترن الفعل بلا ، نحو " وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ " الأنعام الآية ٧١ ، "وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ " الزمر الآية ١٢)[١] .

والملاحظ أن ابن هشام الأنصاري قد ذكر المصطلح في هذين الموضعين بصورة صريحة ، ولكنه في الوقت ذاته قد قرنه بالزمن من ناحية ، وبالتمام والنقصان من ناحية أخرى ، وهو ما اتضح في قوله " كون ناقص ماض منفي " ، وتفسير ذلك أن الكون المنفي لدى ابن هشام لا يتحقق إلا مع كان الناقصة لا التامة ، وهذا ثابت لا جدال حوله .

أما اقتران الكون المنفي لدى ابن هشام من ناحية الزمن بالماضي فهو قول فيه نظر ؛ والدليل على ذلك أن المثال الذي ذكره ابن هشام نفسه في هذا السياق وهو قوله تعالى : " لم يكن اللهُ ليغفرَ لَهم " النساء ١٣٧ ، قد جاء الفعل فيه من ناحية اللفظ مضارعاً " يكن " ، أما من ناحية الدلالة فالمعنى يندرج تحت ما تناوله النحاة تحت مسمى نفي الانبغاء ؛ وهو ما سيفرد له القول لاحقًا ؛ لأن المراد في هذه الآية هو : ما كان ينبغي أن يغفر الله لهم .

إذن فالكون المنفي ليس مقصورًا على لفظ الفعل الماضي فحسب ، وإنما هو واقع بلفظ الفعل الماضي ودلالته ، بالإضافة إلى لفظ الفعل المضارع مع تنوع الدلالة ، وهو ما سيثبته التحليل الدلالي للسياق القرآني خلال هذه الدراسة .

وليس معنى ذلك أن الدراسة سترتكز حول اللفظ ، على حساب المعنى ، بل على العكس ، ستتجاوز الدراسة حدود اللفظ ، وترتكز حول المعنى ؛

---

١ ابن هشام الأنصاري : أوضح المالك إلى ألفية ابن مالك ، مرجع سابق ، ج ٤ / ١٩١.

فالغزالي يقول : (ينبغي أن تكون عين عقلك مقصورة على المعنى ، وموجهة إليه ، لا إلى الأشكال اللفظية)[1] . وهذا ما يفسر ضرورة الاتكاء على نظرية السياق ؛ للوقوف على المعاني الدقيقة ، والدلالات العميقة .

ومن كتب التراث النحوي التي ورد فيها مصطلح (الكون المنفي) أيضًا ، كتاب (شرح التصريح على التوضيح) ؛ حيث يقول الأزهري : (ينصب المضارع بأن مضمرة وجوباً في خمسة مواضع أحدها بعد اللام إن سبقت بكون ناقص ماض منفي لفظًا ومعنى ، أو معنى لا لفظاً منفي ، الأول بما والثاني بلم ، دون غيرهما من أدوات النفي) [2] .

والجدير بالملاحظة فيما ذكره الأزهري أنه كان أكثر دقة وتحديداً من ابن هشام ؛ حيث قدّم الأزهري تفسيراً دلالياً للنفي داخل سياق الكون المنفي ؛ فقد فرّق بين مستويين من مستويات النفي ، وهما : المنفي لفظًا ومعنى ، والثاني : المنفي لفظًا لا معنى ؛ ومنه استمد الباحث فكرة تقسيم مباحث الكون المنفي في هذه الدراسة الحالية .

فالأزهري وفقًا لهذا التصور قد التفت إلى المعنى جنباً إلى جنب مع اللفظ ، وهو ما يتفق مع روح البحث الدلالي . ولكن الأمر الذي يحتاج إلى استدراك حول ما ذكره الأزهري ؛ هو أنه قد جعل دخول (ما) مقصوراً على الماضي فقط ، في حين تدخل (ما) على الماضي والمضارع على حد سواء– مع اختلاف الدلالة بالتأكيد – ، فمثال دخولها على المضارع قوله تعالى : " مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ " المجادلة ، الآية ٧ ، ومن أمثلة دخول (ما) على الماضي قوله تعالى : " مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ " الأحزاب ، الآية ٤٠ . يضاف إلى ما سبق أن الأزهري قد ذكر

---

١ الغزالي ، معيار العلم في فن المنطق ، ط . دار الكتب العلمية ، بيروت ، بشرح أحمد شمس الدين ، ١٩٩٠م ، ص ١٣٠ .

٢ الأزهري : شرح التصريح على التوضيح ، دار إحياء الكتب العربية ، طبعة الحلبي وشركاه ، د . ت ، ج ٢ / ٢٣٥

(ما ، و لم) فقط ، دون غيرهما من أدوات النفي ، في حين يثبت الواقع اللغوي ، وما رصدته هذه الدراسة إمكانية تحقيق دلالة النفي – داخل سياق الكون المنفي – باستخدام أدوات أخرى غير " ما " و" لم " ، وهو ما ستكشفه دراستنا.

الجدير بالذكر أن مصطلح الكون المنفي قد ورد في شرح الكافية ، ولكن بتركيب لغوي معكوس ، وهو (نفي الكون) ، في معرض الحديث عن معنى (ليس) : " ... وقد ذكر النحاة أن معنى (ليس) هو أصلاً (ما كان) ، ثم تجردت عن الدلالة على الزمن ، فبقي مفيدًا (نفي الكون) "[1] . ويرى الباحث أن من قدم كلمة (نفي) عن كلمة (الكون) قد تمركز حول اللفظ ، وأن من قدم (الكون) على كلمة (نفي) ، قد التفت إلى المعنى ، إلا أن اختيارنا – في هذه الدراسة هو (الكون المنفي) ؛ لما يعكسه هذا المصطلح من دلالات أعمق ، وشيوعه في أروقة الدرس النحوي ، بل وبين المفسرين بالمسمى ذاته (الكون المنفي).

أكتفي بهذه النماذج الثلاثة من كتب التراث النحوي ، ونلتفت إلى تراثنا الزاخر من كتب التفاسير ، ونراجع أقوال المفسرين ؛ حيث كانت هناك التفاتات للمفسرين إلى هذا المصطلح (الكون المنفي) ؛ فقد رصده الباحث في بعض كتب التفاسير ، منها – على سبيل المثال لا الحصر – ما ورد لدى ابن عاشور في تفسيره لقوله تعالى : (مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) سورة الأنفال آية ٦٣ . فقد قال ابن عاشور : (... ومعنى هذا الكون المنفي بقوله : " مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ " هو بقاؤهم في الأسر ، أي بقاؤهم أرقاء ، أو بقاء أعواضهم وهو الفداء ...) .[2]

---

١ الرضي ، شرح الكافية ، ج١/١٦٧ .

٢ ابن عاشور ،محمد الطاهر بن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، المعروف بـ(تفسير ابن عاشور) ،الدار التونسية للنشر ، ط ،٢٠٠٨م ، ج ٢/٢٣٦ .

والسؤال الآن : ماذا عن التفاتات المحدثين إلى مصطلح (الكون المنفي) ؟ ؛ حيث تجدر الإشارة إلى التفاتات المحدثين إلى هذا المصطلح ؛ حيث رصد الباحث مصطلح (الكون المنفي) ، في كتاب يعد من أوفى الكتب النحوية وأعمقها – في عصرنا الحديث – حيث ورد المصطلح في كتاب (النحو الوافي) لعباس حسن ؛ في معرض حديثه عن لام الجحود وتفسير معنى الجحود حيث قال : (الجحود هو النفي ، ولام الجحود تقوي معنى النفي في الجملة كلها؛ " قبلها و بعدها " ؛ إذ لا تقع إلا بعد كون منفي عام، والمعنى بعدها منفي أيضًا)[1] .

ولنا حول ما ذكره عباس حسن في هذا الموضع ملحوظتان أولاهما : أنه قد أضاف وصف (عام) إلى مصطلح (الكون المنفي) ، وربما يفسر ذلك الوصف ما ذكره عن الفعلين " كان " و " يكون " بقوله : (الفعل الناسخ " كان " أو " يكون " دون غيرهما من سائر الأفعال الناسخة أو التامة كلاهما يسمى " فعل كون " لاشتقاقه من المصدر " كون " الذي يدل على الوجود العام المطلق) [2] ، وكأن هناك ارتباط لفظي – في تصور عباس حسن – بين كلمتي " كون " و " عام " من الناحية اللغوية . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن سر وصف الكون المنفي بلفظ (العام) يرجع دلاليًّا إلى أن النفي – مع لام الجحود تحديدًا – يرجع إلى ما قبلها وما بعدها في آنٍ واحد ؛ والدليل على ذلك قول عباس حسن : (فالنفي منصب على ما قبل اللام وما بعدها معًا" أي أنه واقع على الكلام كله " فهو نفي عام لهذا ، ولأنه –أيضاً – شامل جميع حالات الحُرِّ، دون التقيد بحالة معينة ، أو الاقتصار عليها ؛ فهو عام بسبب هذين الأمرين)[3] .

---

١ عباس حسن: النحو الوافي، دار المعارف، مصر، الطبعة الثالثة، د. ت، ج ٤/ ٣١٨.

٢ عباس حسن : النحو الوافي ، ج ٤ / ٣١٨

٣ عباس حسن : النحو الوافي ، مرجع سابق ، ج ٤ / ٣١٨

اللافت للنظر أن عباس حسن قد تطرق إلى دلالة الأسلوب في سياق الكون المنفي ، وهو ما يتسق مع أهداف دراستنا هذه ؛ حيث يقول معلقًا على مثالين ساقهما بين يدي المتلقي حول استخدام (لام الجحود) وهما : – ما كان الحر ليقبل الضيم . – ما كان الطبيب ليتوانى عن المريض . فيقول: (والغرض الضمني الذي يرمي إليه الأسلوب من وراء ظاهره هو أن الحر لم يخلق ولم يوجد مطلقًا لما نفي عنه ، وكذلك الطبيب ... ، فهذا أسلوب يبلغ الغاية في قوة الجحد)[1] .

أما الملحوظة الثانية : أن عباس حسن قد استخدم مصطلح (النفي) مرادفاً لمصطلح (الجحود) دون تفريق بينهما ، في حين نجد أن بعض اللغويين قد أشار إلى وجود فارق دقيق بين النفي والجحود ، وهو ما يقودنا بالضرورة إلى إطلالة سريعة على المعنى اللغوي، والمعنى الاصطلاحي لهذين المصطلحين ؛ حتى يبرز الفرق بينهما .؛ فتذكر المعاجم أن (جحد : الجحد والجحود : نقيض الإقرار . كالإنكار و المعرفة ، وفي الصحاح (الجحود): الإنكار مع العلم ، يقال جحده حقه و بحقه جحدًا و جحودًا . وقال ابن فارس : (الجحود) هو ضد الإقرار ، ولا يكون إلا مع علم الجاحد أنه صحيح . قال تعالى : " وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا) النمل ، الآية ١٤ ، والجحود : قلة الخير)[2] .

والملاحظ أنه بتتبع المادة المعجمية (جحد) في القرآن الكريم ، نجد أنها قد وردت في اثني عشر موضعًا ، وقد لازمها في السياق الواردة فيه حرف الجر (الباء) بعد الفعل ، والمجرور بها التركيب الإضافي (آيات الله) ، أو الضمير العائد على هذا التركيب ، سوى آية واحدة ، كان المجرور بعدها هو التركيب الإضافي (نعمة الله) ؛ مما يدعم اقتران الجحد دلاليًا بفكرة علم

١ عباس حسن : النحو الوافي ، مرجع سابق ، ج ٤ / ٣١٨

٢ انظر: لسان العرب ، الصحاح ، ومقاييس اللغة ، القاموس المحيط . مادة (جحد) .

الجاحد بصحة ما ينكره ؛ فهل بعد آيات الله ، أو نعمه دليل دامغ على مدى عمق دلالة لفظ (الجحد) على مخالفة الحق ، والإنكار ؟

والجدير بالذكر أن تعرض النحاة للفارق بين المصطلحين ؛ يكشف الفارق الدقيق بينهما ؛ فقد ألقي المعنى اللغوي بظلاله على المعنى الاصطلاحي بقوة ، وذلك في ضوء الفارق اللغوي الدقيق بين المصطلحين ؛ ومن ثم جاء تعرض النحاة لكل مصطلح منهما في ضوء الآخر ؛فهذا ابن الشجري يقول : (وقد يكون النفي جحداً ، فإذا كان النافي صادقاً فيما قاله ؛ سمي كلامه نفياً ، و إن كان يعلم أنه كاذبٌ فيما نفاه ؛ سمي ذلك النفي جحداً)[1] .

ومن الواضح أن ابن الشجري يعتمد في وجود الفارق بين (الجحود) و(النفي) على النظر إلى صدق النافي من عدمه ، وكي يثبت ابن الشجري وجهته فقد مثّل للنفي بقوله تعالى : (مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ) الأحزاب الآية ٤٠ ، ومثّل للجحد – على حد تعبيره – بقوله تعالى : (قالوا هذا سحرٌ مبينٌ) النمل الآية ١٣ ، وهو قول فرعون وقومه عن آيات موسى لمّا وقعت أمام أعينهم ، فيقول ابن الشجري : (فقولهم هذا سحرٌ مبينٌ – خبر موجبٌ يراد به النفي ، أي : ما هذا حقٌ ، فلذلك قال بعده: "وجحدوا بها" أي نفوها ، وهم يعلمون أنها من عند الله)[2].

وقد ذكر ابن يعيش أن النفي (إنما يكون على حسب الإيجاب ؛ لأنه إكذاب له ، فينبغي أن يكون على وفق لفظة ، لا فرق بينهما ، إلا أن أحدهما نفي والآخر إيجاب)[3] .

---

١ ابن الشجري ، هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة الحسني العلوي : الأمالي ، تحقيق : د. محمود محمد الطناحي، الخانجي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٩٢م ، ج ١ / ٣٩١

٢ ابن الشجري : الأمالي، مرجع سابق ، ج ١ / ٣٩٢

٣ ابن يعيش : موفق الدين يعيش بن يعيش ،شرح المفصل ، مكتبة المتنبي ، القاهرة ، د. ت ، ج ٨ /١٠٧ .

وهذا يتسق مع ما ذكره أبو هلال العسكري بقوله إن النفي هو (سلب معنى الجملة بإحدى أدوات النفي، وهو خلاف الإثبات والإيجاب)[1].

وتكشف أقوال النحاة واللغويين هيمنة فكرة نظرية العامل وسيطرتها على رؤيتهم لمفهوم الألفاظ ؛ فقد عرف الجرجاني الجحد بأنه (ما انجزم بلم ، لنفي الماضي ، وهو الإخبار عن ترك الفعل في الماضي)[2] . وتلك الرؤية تتسق مع ماسبق وأشرت إليه في المقدمة من عدم إفراد النحاة للنفي بابًا مستقلاً .

والجدير بالذكر في هذا المقام أن ارتكاز هذه الدراسة الحالية على نظرية السياق سيسهم – إلى حدٍ بعيد – في إجلاء تلك الفروق الدلالية الدقيقة بين المصطلحين ، اعتماداً على أسس التحليل اللغوي الدلالي ، وذلك من خلال سياق الآيات القرآنية موضع الاستشهاد والتحليل ؛ ومن ثم يستوجب الآن الوقوف عند مصطلح (السياق) .

ثانيًا: تأصيل مصطلح (السياق) :

يستوجب الاتكاء حول نظرية السياق الوقوف عند مصطلح (السياق) ، وما يمثله من أهمية في الدرس النحوي عامة ، وفي دراسة (الكون المنفي) خاصة . ولا شك أن الدراسة الحالية ليست بصدد إعادة إثبات ما أثبته أسلافنا في هذا المجال ، وإنما تهدف الدراسة هنا إلى محاولة إبراز دور السياق في الكشف عن الدلالات الدقيقة أو الخفية ، حول جانب من جوانب الدرس النحوي لم يلق عناية تامة ، شأنه شأن الأبواب النحوية التي نالت حظًا وافرًا من الباحثين والدارسين على امتداد الزمن ، وأعني بهذا الجانب الذي لم ينل كم العناية والدرس (باب النفي) عامة ، و (الكون المنفي) خاصة .

وحتمًا لا يتسع المقام لتتبع جهود القدماء والمحدثين في دراسة السياق وأنواعه وأهميته ...إلخ ، وإنما يسلط الباحث الضوء على عجالة إلى السياق بوصفه

---

١ أبو هلال العسكري : الصناعتين ، تحقيق : د. مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٩م ، ص ٤٥٦

٢ علي محمد الجرجاني ، التعريفات ، ط الحميدية المصرية ، ١٣٢١هـ ، ص ٥١ .

مصطلحًا تضمنه عنوان الدراسة ، بالإضافة إلى أنه يمثل الإطار التنظيري الذي ترتكز حوله دراستنا الحالية ؛ ومن ثم سنكتفي في هذا المقام بذكر الأركان الثلاثة الرئيسة التي حددها فيرث لدراسة المعنى في ضوء نظرية السياق ، والتي ترتكز عليها دراستنا الحالية .

فقد ذكر الدكتور تمام حسان أن نظرية فيرث في دراسة المعنى تقوم على ثلاثة أركان رئيسة هي على النحو الآتي[1] :

أولاً : وجوب اعتماد لغوي على ما يسمى بـ (المقام) ، أوسياق الحال ، وقد حدد فيرث العناصر الأساسية لسياق حال الحدث اللغوي بما يأتي :

أ – المظاهر وثيقة الصلة بالمشاركين (المتكلمين والسامعين) : وتتضمن أمورًا ثلاثة هي:

- كلام المشاركين ، أي الحدث الكلامي الصادر عنهم .
- الحدث غير الكلامي عندهم ، ويقصد به أفعالهم ، وسلوكهم في أثناء الكلام .
- شخصية المتكلم والسامع وتكوينهما الثقافي ، وكذا من يشهد الكلام من غيرهم ، إن وجدوا ، وبيان مدى علاقتهم بالسلوك اللغوي ، وهل يقتصر دورهم على مجرد الشهود ؟ أو النصوص التي تصدر عنهم .

ب – الأشياء وثيقة الصلة بالموقف : وهي العوامل والظواهر الاجتماعية ، ذات العلاقة البالغة ، والسلوك اللغوي لمن يشارك في الموقف الكلامي ، نحو : مكان الكلام وزمانه ، والوضع السياسي ... إلخ ، وكل ما يطرأ أثناء الكلام مما يتصل بالموقف الكلامي أيًا كانت درجته .

ج – أثر الحدث الكلامي في المشتركين : كالإقناع ، أو الألم ، أو الإغراء ، أو الضحك .... إلخ .

---

١ تمام حسان ، اللغة العربية "معناها ومبناها " ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٣م، ص ٣٣٧ –٣٣٨ .

ثانيًا : وجوب تحديد بيئة الكلام المدروس تحديدًا دقيقًا ، حتى تضمن عدم الخلط بين لغة وأخرى ، أو لهجة وأخرى ، أو بين مستوى كلامي ومستوى آخر ؛ لأن من شأن هذا الخلط أن يؤدي إلى نتائج مضطربة غير دقيقة ؛ ومن ثم يجب تحديد البيئة الاجتماعية أو الثقافية التي تحتضن اللغة المراد دراستها ، وذلك أن هناك صلة وثيقة بين اللغة والثقافة التي تحتضنها ، وهو ما يمكن أن نسميها بالسياق الثقافي .

ثالثًا : وجوب النظر إلى الكلام اللغوي على مراحل ؛ لأنه مكون من أحداث لغوية مركبة أو معقدة ، وهي فروع اللغة المختلفة ؛ واتباع هذا المنهج يوفر اليسر والسهولة في تحليل الأحداث اللغوية ، والوصول إلى خواص الكلام المدروس ؛ إذ تقود كل مرحلة إلى التي تليها وصولاً إلى المعنى الدلالي .

وتأتي جهود فندريس مؤكدة لما أسس له فيرث ؛ إذ التفت في دراساته إلى (السياق) باعتباره يعّين قيمة الكلمة ؛ إذ إن الكلمة توجد في كل مرة تستعمل فيها في جوٍ يحدد معناها تحديدًا مؤقتًا ، فالسياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على كلمة توجد في كل مرة تستعمل فيها في جو يحدد معناها تحديدًا مؤقتًا ، ... فالسياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة ، على الرغم من المعاني المتنوعة التي في وسعها أن تدل عليها ، كما أن السياق يخلص الكلمة من الدلالات الماضية التي تدعها الذاكرة تتراكم عليها ، فهو الذي يخلق لها قيمة حضورية[1] .

وكأن السياق يسهم في إرشاد المتلقي إلى الفهم الدقيق لمراد المتكلم أو الكاتب ؛ وهو ما يتفق مع تعدد المعنى المصاحب للكلمات في المعاجم ؛ ليأتي السياق محددًا وضابطًا وكاشفًا عن مراد مستخدم اللغة ، وهذا يتفق مع

١ ينظر : فندريس ، اللغة ، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ، محمد القصاص ، د.ط. القاهرة مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٥٠ ، ص٢٣١.

ما ذكره الدكتور تمام حسان بقوله : (... معنى الكلمة في المعجم متعدد ومحتمل ، ولكن معنى اللفظ في السياق الواحد لا يتعدد)[١] .

فالسياق كما تصوره ستيفن أولمان (يساعدنا على إدراك التبادل بين المعاني الموضوعية ، والمعاني العاطفية والانفعالية)[٢] .

فمصطلح السياق قد يتسع مدلوله ليشمل (البيئة اللغوية التي تحيط بصوت ، أو فونيم ، أو مورفيم ، أو كلمة ، أوعبارة ، أو جملة)[٣] . ولعل في التركيب " البيئة اللغوية " ؛ ما يعكس أهمية الالتفات إلى ما يحيط بلغتنا من متغيرات ، تلك النظرة إلى السياق – من مجرد كونه جملة منعزلة – تقودنا إلى ضرورة الالتفات إلى الموقف الكلامي ككل ، وهو ما يعني الالتفات ما يسمى سياق الحال ، الذي يعد بمثابة (الموقف الفعلي الذي حدث فيه الكلام، ولكنه يقود إلى نظرة أوسع للسياق ، تضم الخلفية الثقافية التي وضع الحدث الكلامي بإزائها)[٤] . هو ما تصوره فيرث بأنه (التوازي بين السياقات الداخلية والشكلية ... ، وبين السياقات الخارجية للموقف) .[٥]

ومن ثم فإن السياق الذي يسهم في تكوين المعنى –وفقًا لهذا التصور– ليس مجرد علاقات شكلية بين الكلمات داخل الجمل والتراكيب ، إنما يجب رصد المعنى من خلال (علاقات متشابكة متداخلة ؛ فهو ليس فقط

---

١ تمام حسان ، اللغة العربية "معناها ومبناها " ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٣م، ص ٣١٦ .

٢ ستيفن أولمان ، دور الكلمة في اللغة ، ترجمة د.كمال بشر ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٧٢م ، ص ٥٦ .

٣ محمد علي الخولي ، معجم علم اللغة النظري ، بيروت ، مكتبة لبنان ، ط١، ١٩٨٢م ، ص ١٥٦ .

٤ محمد شكري عياد ، معجم المصطلحات اللغوية والأدبية ، د.ط. الرياض ، دار المريخ للنشر ، ١٩٨٤ ، ص ٥٦.

٥ ينظر : أحمد مختار عمر ، علم الدلالة ، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٩٨٢م ، ص ٦٨ .

وليد لحظة معينة بما يصاحبها من صوت وصورة ، ولكنه أيضًا حصيلة المواقف الحية التي يمارسها الأشخاص في المجتمع ، فالجمل تكتسب دلالاتها في النهاية من خلال ملابسات الأحداث ، أي من خلال سياق الحال)[1] . بل إن بالمر قد قرن أداء المعنى بمعرفة الحال ؛ حيث أشار إلى أن (النصوص لا يمكن أن تؤدي معنى إلا إذا عرفت الحال التي كان عليها المتكلم حين نطق بها)[2] .

وتجدر هنا الإشارة إلى أمرين :

الأول : أن رصد جهود العلماء في دراسة السياق لا تكفيها تلك الدراسة ، ولا يمثل ذلك غاية من غاياتها ؛ فقد أفاض العلماء واستفاضوا في تناول السياق ، على امتداد فترات زمانية واسعة[3] .

الثاني : أنه قد يتبادر إلى ذهن القارئ سؤال مهم ومتوقع ، وهو : هل تصدق تلك الأركان التي حددها علماء اللغة في دراسة النص القرآني ؟ بوصفه نصًا أحكمت آياته من لدن المولى جل في علاه .

---

١ يحيى أحمد ، الاتجاه الوظيفي ودوره في اللغة ، مجلة عالم الفكر ، م٢، ع٣، ١٩٨٠، ص ٨٢ .

٢ فرانك بالمر ، علم الدلالة " إطار جديد " ، ترجمة صبري إبراهيم السيد ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ،١٩٩٢م،ص٧٤

٣ للمزيد ينظر : عبده الراجحي ، فصول في علم اللغة ، ط١، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٩٧م ، ص ٧٣ وما بعدها ، وينظر : إبراهيم خليل ، السياق وأثره في الدرس اللغوي " دراسة في ضوء علم اللغة الحديث ، مطبوعات الجامعة الأردنية ، عمان ، ١٩٩٩م ، ص ٢٨ وما بعدها . وينظر : نهاد الموسى : نظرية النجو العربي في ضوء علم اللغة الحديث ، دار البشير ، عمان ، ط٢ ، ١٩٨٥م ، ص ٩٣ وما بعدها . وينظر : كمال بشر ، دراسات في علم اللغة ، ط دار المعارف ، مصر ، د.ت. ص ١٤٧وما بعدها.وينظر : محمود السعران : علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، عالم الكتب ، بيروت ، ط١ ، ١٩٦٢م ، ص ٣٤٠وما بعدها .

وتكمن الإجابة عن هذا السؤال في أن فهم النص القرآني لا يتحقق بمجرد التعرض لآياته فحسب ، بل إن فهمه يتطلب ضرورة الالتفات إلى أسباب النزول ، على سبيل المثال لا الحصر ، وكذلك التفاتات المفسرين إلى أقوال الصحابة الذي شهدوا نزول القرآن الكريم إبّان مصاحبتهم لرسول الله ﷺ فترة الوحي ؛ فلم يستغن المفسرون ولا الفقهاء ولا رجال الدين – على الإطلاق – بالاستشهاد بسياق الموقف ، ولا سياق الحال ، ولا السياق الاجتماعي ...إلخ ، بل جاءت تفاسيرهم في ضوء ذلك كله ؛ مما يؤكد أن الإجابة عن السؤال المطروح : نعم تصلح تلك الأركان ، بل ويضاف إليها أمورًا أخرى تتوافق مع خصوصية النص القرآني منها غير أسباب النزول : علم الناسخ والمنسوخ ، والنظر – فيما يدعم المعاني المرجحة من أقوال المفسرين ورجال الدين – في السنة النبوية، والأحكام المستنبطة للفقهاء ...إلخ . وهذا يتوافق مع معطيات نظرية السياق ؛ حيث تدعم الأقوال بعضها ، وتكشف خبايا المعاني التي قد تتوارى خلف الألفاظ .

الأدوات الملازمة لسياق الكون المنفي :

يرى الباحث أن المقام يستدعي تسليط الضوء على الأدوات الملازمة لسياق الكون المنفي ، والتي يمكن تقسيمها في ضوء موضعها من سياق الكون المنفي نوعين ، هما :

- أولاً : أدوات تتصدر سياق الكون المنفي .
- ثانيًا : أدوات قد تتوسط سياق الكون المنفي .

وفيما يأتي إطلالة سريعة على تلك الأدوات ؛ بغية بيان وظائفها النحوية ، ومن ثم استكشاف الفروق الدلالية بينها .

أولاً : أدوات تتصدر سياق الكون المنفي :

يقول إبراهيم مصطفى ، بعد دعوته الجادة إلى إحياء النحو ، حول الأدوات المستخدمة في سياق النفي : (ولو أنها جُمعت في باب ، وقرنت أساليبها ، ووزن بينها ، وبين ما ينفي الحال ، وما ينفي الاستقبال ، وما ينفي

الماضي ، وما يكون نفيًا لمفرد ، وما يكون نفيًا لجملة ، وما يخص الاسم ، وما يخص الفعل ، وما يتكرر ؛ لأحطنا بأحكام النفي ، وفقهنا أساليبها ، ولظهر لنا من خصائص العربية ودقتها في الأداء ، شيء كثير أغفله النحاة ، وكان علينا أن نتتبعه ونبيّنه)[1] .

والسؤال المطروح الآن : هل كان للنحاة التفاتات جادة إلى أدوات النفي ؟ وما طبيعتها ؟

والإجابة عن هذا السؤال تمثل توثيقًا لجهد القدماء في الالتفات إلى أدوات النفي ، والبحث في وظائفها النحوية ، بل والدلالية أيضًا ، ولكنها كانت جهودًا متضمنة في أبواب متفرقة من أبواب النحو ، وليست تحت مظلة باب واحد يجمعها ، ولم يكن النحاة وحدهم هم الملتفتون إلى تلك الأدوات ووظائفها النحوية والدلالية ، وإنما المفسرون أيضًا .

فعلى سبيل المثال – لا الحصر – فقد ذهب الخليل بن أحمد ، وتبعه الكسائي والفراء ، إلى أن أدوات النفي بعضها بسيط ، مثل : (لا ، وإن) ، وبعضها مركب مثل : (ليس ، ولم ، ولن)[2] .

في حين لا يميل ابن هشام إلى القول بالتركيب ، ويرى أن جميع الأدوات بسيطة[3] .

---

١ إبراهيم مصطفى ، إحياء النحو ، ط لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٥١ م ، ص٥ .

٢ انظر : المرادي : بدر الدين الحسن بن قاسم (ت ٧٤٩هـ) ، الجنالداني في حروف المعاني ، تحقيق الدكتور : فخر الدين قباوة ، محمد نديم فاضل ، المكتبة العربية بحلب ، دمشق ، ط ١ ، ١٩٧٣ م ، ص ٢٧٠/٢٧١ .

٣ انظر :ابن هشام : جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله (٧٠٨-٧٦١هـ) ، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، تعليق محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، المكتبة التجارية ، ج٢٨٤/١ .

لن :

يقول ابن يعيش : (هي أبلغ في نفي المستقبل من " لا " ؛ لأن " لا " تنفي يفعل ،إذا أريد به المستقبل ، و " لن " تنفي فعلاً مستقبلاً قد دخل عليه السين وسوف)[1] .

ويؤكد الرضي ذلك ، حيث ذكر أن " لن " : (تنفي المستقبل نفيًا مؤكدًا ، وليست للدوام أو التأبيد)[2] .

في ضوء ما سبق تبين أن النحاة يتفقون حول وقوع " لن " للنفي والنصب الاستقبال ، في الوقت الذي نفى فيه ابن هشام دلالة نفي التأبيد عن " لن " نفيًا تامًا ، وذلك حين قال : (ولا تفيد " لن " توكيد النفي ، خلافًا للزمخشري في كشافه ، ولا تأبيده ، خلافًا له في أنموذجه ، وكلتاهما دعوى بلا دليل ، قيل : ولو كانت للتأبيد ، لم يقيد منفيها باليوم في قوله تعالى : " فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا " ، ولكان ذكر الأبد في قوله تعالى :(ولن يتمنوه أبدًا " تكرارًا ، والأصل عدمه)[3] .

في الوقت الذي يؤكد فيه ابن يعيش أن النفي بها يعكس دلالة النفي الأبدي ، واستدل بقوله تعالى : (وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ) البقرة ٩٥ ، فذكر الأبد بعد " لن " تأكيد لما تعطيه " لن " من النفي الأبدي)[4] ؛ مما يدعم قولنا بأن مذهب ابن هشام فيها مذهب فيه نظر.

---

١ ابن يعيش : أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش بن محمد بن أبي السرايا الموصلي الحلبي ، موفق الدين " ٥٥٦هـ- ٦٤٣ هـ " ، شرح المفصل ، القاهرة ، إدارة الطباعة المنيرية ، ج١١١/٨ .

٢ محمد حسن الرضي ، شرح الكافية ، استنابول ، الشركة الصحافية العثمانية ، ط ١ ، ١٣١٠هـ ، ج٢١٨/٢ .

٣ ينظر : ابن هشام الأنصاري : مغني اللبيب ، ج٢٨٤/١ .

٤ ابن يعيش بن علي : شرح المفصل ، ط المنيرية ، مصر ، ج ١١١/٨ .

في حين تثبت السياقات التي وردت فيها " لن " في القرآن الكريم ، وعددها مائة وخمس موضعًا ، عكست من خلالها دلالة واضحة على الاستقبال ؛ مما يعني أن دلالتها على المستقبلية دلالة أصيلة ، سواء كان النفي في الحاضر ،ويمتد إلى المستقبل ، أم كان للمستقبل وحسب ، قريبًا كان أو بعيدًا[١] .

وينحو المفسرون نحو النحاة ؛ فقد توافقت آراؤهم على دلالة " لن " عن نفي الاستقبال ، بل ومنحوها القوة ذاتها التي منحوها " لا " في الدلالة على النفي، حيث عبروا عن توحد الدلالة بينهما بأنهما (أختان في نفي المستقبل، إلا أن في " لن " تأكيدًا وتشديدًا)[٢] . وهو ما أشار إليه صاحب الطراز بقوله : (" لن " آكد من " لا " في نفي المستقبل مطلقًا)[٣] .

ويؤكد النسفي دلالة التأبيد في " لن " بقوله : (الدليل على التأبيد ، أنهم لو تمنوه ؛ لنقل ذلك ، وهو من المعجزات ؛ لأنه إخبار بالغيب)[٤] .

وقد أكد أبو حيان قول الزمخشري حول قوة (لن) في النفي ، بل – على حد تعبيره – المبالغة في النفي ؛ حيث قال : (الأقرب هو قول الزمخشري من أن فيها توكيدًا وتشديدًا ؛ لأنها تنفي ما هو مستقبل بالأداة ، بخلاف (لا) ، فإنها تنفي المراد به الاستقبال ، مما لا أداة فيه تخلصه له ؛ ولأن (لا) قد ينفى بها الحال قليلاً)[٥].

---

١ ينظر : أحمد ماهر البقري ، أساليب النفي في القرآن ، دار المعارف ، القاهرة ، ط ١، ١٩٩٨م ، ١١٨/١١٧ .

٢ محمد فخر الدين الرازي : (مفاتيح الغيب ، المشتهر بالتفسير الكبير) ، وبهامشه : تفسير العلامة أبي السعود ، ط الحسينية ، مصر ١٣٢٤هـ ، ج٢٢٤/١ .

٣ يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني ، ط . المقتطف ، مصر ، ١٣٣٢هـ ، ١٩١٤هـ ، ج٢٠٨/٢ .

٤ النسفي ، عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي أبو البركات ، مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، المشهور بـ(تفسير النسفي) ، تحقيق يوسف علي بديوي ، محيي الدين ديب مستو ،ط . دار الكلم الطيب ، ١٤١٩هـ ، ١٩٩٨م ، ج٥٠/١ .

٥ أبو حيان الأندلسي : البحر المحيط ، القاهرة ، ١٣٢٨هـ ، ج١٠٧/١ .

ويقول القاسمي: (" لن " أقوى الألفاظ النافية)[1] .

ويبدو أن فكرة الإبدال بين حروف النفي ؛ بغية عزوها إلى أصل واحد قد شكلت ملمحًا بارزًا لدى النحاة ؛ فعلى سبيل المثال لا الحصر ، نجد أن الفراء قد ذهب إلى أن أصل " لم " و " لن " ، (لا) ، فأبدلت الألف نونًا في أحدهما ، وميمًا في الأخرى[2] .

وممن عبر عنها – أعني فكرة الإبدال – تحت المسمى ذاته ، الأزهري حيث صرح أن : (" لم " أصلها " لا " ، وأبدلت الألف " ميمًا "[3] . كما أن الخليل قد زعم أنها (لا أن) ، ولكنهم حذفوا ؛ لكثرته في كلامهم[4] ...

ويؤكد الفكرة ذاتها – أعني فكرة إبدال ، أو اشتقاق حروف النفي من بعضها – برجشتراسر ، المستشرق الألماني الذي ذهب إلى أن أصل النفي في العربية أن يكون بـ " لا " ، و" ما " ، وأن العربية قد اشتقت من " لا " أدوات منها : " ليس ، ولن ، لم ، وقد زعم أن " لن " مركبة من " لا " و " أن " . كما زعم بأن " لم " مركبة من " لا " و " ما " الزائدة "[5] .

---

١ محمد جمال القاسمي ، محاسن التأويل ، ط. الحلبي ، ١٩٥٧م ، ج١٩٥/٢ .

٢ ينظر : الرضي : محمد بن حسن الرضي ، شرح الكافية ، استنابول ، الشركة الصحافية العثمانية ، ، ط١ ، ١٣١٠هـ ، ج٢٣٥/٢ .

٣ الأزهري : خالد بن عبد الله الأزهري ، شرح التصريح على التوضيح ، وبهامشه ، حاشية يس بن زيد الدين العلمي ، ط. الحلبي ، ج ٢٤٧/٢ .

٤ ينظر : سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ١٨٠ هـ ، الكتاب ، القاهرة ، المطبعة الأميرية ، ١٨٩٨م ، ج٤٠٧/١ . وينظر : ابن هشام : جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله (٧٠٨-٧٦١هـ) ، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، تعليق محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، المكتبة التجارية ، د.ت. ج٢٨٤/١ . ، وينظر الأشموني : نور الدين أبو الحسن علي بن محمد الأشموني ، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ، القاهرة ، عيسى الحلبي ، ط ١، د.ت . ج٢٨٣/٣ .

٥ ينظر: براجشتراسر ، التطور النحوي للغة العربية ، القاهرة ، مطبعة السماح ، ١٩٢٩م، ١٩٢٩م، ص ١١١.

وهناك من عبر تلك الفكرة من منظور (النحت) ؛ فقد اعتبر الدكتور إبراهيم أنيس أن " لم " منحوتة من " لا " و " ما " [1].

ولا نتفق مع ذلك المذهب ؛ إذ إنه مذهب افتراضي ، سواء جاء تحت مسمى الإبدال أو مسمى الاشتقاق ، أو تحت مسمى النحت ؛ حيث لا يؤيده الواقع اللغوي ، ولا يسانده دليل عقلي ، والراجح لدينا أن كل أداة من أدوات النفي مستقلة بذاتها ، بل ولها وظائفها النحوية ، ومن ثم الدلالية .

ما :

ذكر ابن يعيش أن " ما " حرف نفي أوغل في الشبه بـ " ليس " ، من " لا " ؛ لاختصاصها – يقصد "ما " – بنفي الحال ، ولذلك كانت داخلة على المعرفة والنكرة جميعًا ، أما " لا " فلا تدخل إلا على نكرة[2] .

والأرجح هو أن " ما " لا ترتبط بزمن معين ، بل إنها تفيد مطلق الزمن ؛ ففي قوله تعالى : (قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ) ، سورة هود آية ٥٣) ، قد وقعت الجملة الفعلية بعد " ما " مرة واحدة ، عكست معها الدلالة على الزمن الماضي ، كما وقعت بعدها الجملة الاسمية مرتين ، عكست في أولاهما الدلالة على الاستقبال ، وثانيهما الدلالة على الحال ؛ مما يدعم القول بأن " ما " لا ترتبط بزمن بعينه[3] .

لم :

يكاد يتفق النحاة حول استخدام (لم) بوصفها حرفًا من جزم المضارع ، مع قلبه ماضيًا ، نحو: (لم يلد ، ولم يولد) ، ولم يحك النصب بها سوى لغة

---

١ إبراهيم أنيس ، من أسرار اللغة ، ط. لجنة البيان العربي ، ط. ١٩٥١ م، ص١١٥ .

٢ ينظر ابن يعيش بن علي : شرح المفصل ، ط المنيرية ، مصر ، د.ت. ج٢/٩٢ .

٣ ينظر الشوكاني : محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، فتح القدير " الجامع بين فني الرواية والدراية " من علم التفسير ، ط . مصطفى الحلبي ، ١٣٥٠هـ ، ج٢/٤٨١ .

حكاها اللحياني وحده[1] ، وعليها خرّج قراءة (ألم نشرح) . غير ذلك فهي لدى الجميع – كما ذكر المكودي : (حرف نفي في الماضي ، لكنه يدخل على المضارع فتصرف معناه إلى المضي) [2] .

ثانيًا : أدوات قد تتوسط سياق الكون المنفي :

لام الجحود :

ذكر ابن هشام أن (الصواب تسميتها لا النفي ؛ لأن الجحد في اللغة إنكار ما تعرفه ، لا مطلق الإنكار ... ، ووجه التأكيد فيها – عند الكوفيين – أن أصل " ما كان ليفعل : هو " ما كا يفعل ، ثم أدخلت اللام زيادة لتقوية النفي ، كما أدخلت الباء في " ما زيد بقائم " لذلك) [3] .

إذًن تحمل لام الجحود دلالات التوكيد والمبالغة في النفي ، وليس مجرد النفي ، وإلى ذلك أشار الرضي بقوله : (وكأن هذه اللام في الأصل هي التي في نحو قولهم : " أنت لهذه الخطة " ، أي أنت مناسب لها ، وهي تليق بك ؛ فمعنى " ما كنت لأفعل " : ما كنت مناسبًا لفعله ، ولا يليق بي ذلك ، ولا شك أن في هذا معنى التأكيد)[4] .

ففي قوله تعالى: (لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا) النساء/١٣٧، دلالة على أنه مختوم عليهم بانتفاء الغفران ، وهداية السبيل ،

---

١ جلال الدين السيوطي ، معجم الأدوات النحوية وإعرابها في القرآن الكريم ، تحقيق الشيخ عبد العزيز عز الدين السيروان ، ، يوسف علي بديوي ، ط١، دار ابن هانئ ، ١٩٨٨م ، ص ١٦٣ .

٢المكودي : أبو زيد عبد الرحمن بن علي بن صالح المكودي ، شرح المكودي على ألفية ابن مالك ، ١٣٥٥هـ ، ١٩٣٦ م ، ص ١٧٦ .

٣ ابن هشام : جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله (٧٠٨-٧٦١هـ) ، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، تعليق محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، المكتبة التجارية ، د.ت. ج١/٢١١ .

٤ الرضي ، محمد حسن الرضي ، شرح الكافية ، ، استنانبول ، الشركة الصحافية العثمانية ، ط١ ، ١٣١٠هـ، ج٢/٢٢٧.

وأنهم تقرر عليهم ذلك في الدنيا ، وهم أحياء ، وهذه فائدة المجيئ بلام الجحود ؛ ففرق بين : " لم يكن زيد يقوم " ، وبين : " لم يكن زيد ليقوم " ؛ فالأول ليس فيه إلا انتفاء القيام ، والثاني فيه انتفاء الإرادة ،والإيتاء للقيام ، ويلزم من انتفاء إرادة القيام نفي القيام[١] .

وكذلك في قوله تعالى : (وَمَا كَانُوا ليؤمنوا إلّا أَن يَشَاءَ الله) الأنعام / ١١١ ، " فقوله " ما كانوا ليؤمنوا " أبلغ في النفي من " لم يؤمنوا " ؛ لأن فيه نفي التأهل والصلاحية للإيمان ؛ لذلك جاءت لام الجحود في الخبر [٢].

ولم تأت (لام الجحود) بعد (إن) النافية إلا على رأي الفراء في قوله تعالى : (وإن كان مكرهم لتزولَ منه الجبالُ) إبراهيم / ٤٦ ؛ حيث يرى أن المعنى : ما كانت الجبال لتزول من مكرهم[٣] .

ووافقه الزمخشري[٤]؛ حيث ذكر في الكشاف – في الآية ذاتها – أن المعنى هو (وإن كان مكرهم مسوى لإزالة الجبال ، معدًا لذلك ... ، والمعنى: ومحال أن تزول الجبال بمكرهم ، على أن الجبال مثل لآيات الله وشرائعه؛ لأنها بمنزلة الجبال الراسية ثباتًا وتمكنًا ، ووافقته في ذلك قراءة ابن مسعود: (وما كان مكرهم) .

والجدير بالذكر أن عباس حسن قد بسط القول في (لام الجحود) بصورة أسهمت في تحليل أدق لسياقات الكون المنفي فيما يخص لام الجحود؛ فقد أشار إلى أن ما يميز الكون المنفي أربعة أمور مجتمعة هي:

---

١ أبو حيان الأندلسي ، البحر المحيط ، القاهرة ، ١٣٢٨هـ ، ج ٣ / ٣٧٣ .

٢ أبو حيان الأندلسي ، البحر المحيط ، القاهرة ، ١٣٢٨هـ ، ج ٤/ ٢٠٦ .

٣ الفراء ، يحيى بن زياد بن عبد الله منظور ١٤٤هـ – ٢٠٧هـ ، معاني القرآن ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٥٥م ، ج٢/٧٩ .

٤ الزمخشري : جار الله أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر ، ٤٦٧هـ – ٥٣٨ هـ ، الكشاف ، المكتبة التجارية ، القاهرة ، ١٣٥٤هـ ، ج٢/٣١٧ .

(الفعل الناسخ " كان " أو " يكون " . حرف النفي " ما " مع كان الناسخة الناقصة ، و " لم " مع يكن الناسخة الناقصة ، مع ملاحظة أن النفي في الحالتين على معنى كل الكلام الذي يليه ، فهو شامل ما قبل اللام وما بعدها . أن فعل " الكون " إما : ماضٍ لفظًا ومعنى ، مثل : ما كان الحر ليقبل الضيم ، ما كان الطبيب ليتوانى عن المريض ، ما كان العاقل ليسارع في الإسهام ، و إما : ماضٍ معنى فقط ، مثل لم يكن المتقن بالنقص ، لم يكن الأديب ليقرأ تافه الكلام ، لم يكن ربيب السوء لينشئ نشأته ، وهذا الحرف " لم " إذا دخل على المضارع قلب زمنه ماضيًا – في الغالب – مع ترك صورته اللفظية المجزومة على حالها ، فيصير مضارعاً في لفظه ، ماضياً في زمنه ومعناه . أن فعل الكون الناسخ يليه مباشرة اسمه ظاهراً ، لا ضميراً ، ثم مضارع منصوب مبدوء بلام مكسورة ، أما خبره فعام محذوف يجب أن يتعلق به الجار والمجرور مع مجروره ، والجار هو " اللام " التي اشتهرت باسم " لام الجحود " والتي تتصل بالمضارع ، والمضارع بعدها منصوب بأن مضمرة وجوبًا ، والمصدر المكون من " أن " وما دخلت عليه من المضارع وفاعله في محل جر " بلام الجحود " والجار والمجرور متعلقان بالمحذوف العام المنصوب لأنه خبر الناسخ والتقدير : ما كان الحر مهيأً أو مريداً لقبول الضيم ...)[1] .

لكن : (حرف للاستدراك ؛ لتوسطها بين كلامين متغايرين نفيًا وإيجابًا ، فتستدرك بها النفي بالإيجاب ، والإيجاب بالنفي)[2] .

مفارقات النفي :

تبقى الإشارة إلى قضيتين من قضايا النفي عامة ، وأفعال الكون خاصة :القضية الأولى تتعلق بـ (دلالة فعل الكينونة ذاته) ، أعني به (كان) وما

١ عباس حسن : النحو الوافي ، مرجع سابق ، ج ٤/ ٣١٨ وما بعدها .
٢ ابن يعيش ، شرح المفصل ، ط المنيرية ، مصر ، ج٢/ ١٩٣ .

في معناها ، هل هي أفعال بالمعنى الدقيق الذي اصطلح عليه النحاة ، من حيث دلالتها على الحدث المقترن بالزمن ، أوأنها أفعال في اللفظ فقط ؟

فهذا ابن السراج يرى أن (كان وأخواتها أفعال في اللفظ فقط ، وليست أفعالاً حقيقية ، وذلك لاقتصارها على الدلالة الزمانية)[1] . في حين رأى الاستراباذي أن (النواسخ الفعلية أفعال تدل على ما تدل عليه الأفعال من حدث وزمان)[2] .

القضية الثانية: قضية أراها ملازمة لسياق الكون المنفي ،ينبغي الوقوف على أبعادها ،وهي قضية الاضطراب في الدلالة الزمنية لسياق الكون المنفي ؛ ويكمن جوهر تلك القضية في حقيقة مؤداها: أن نفي أي ناسخ ؛ يقيم علاقة بنفي ناسخ آخر ، وتتجلى مظاهر تلك القضية في نقاط ثلاث هي [3]:

- نفي الكينونة قد يعني الانتقال أو الاستمرار .
- نفي الاستمرار قد يعني الانتقال أو الكينونة .
- نفي الانتقال قد يعني الكينونة والاستمرار .

وربما يرجع السبب الرئيس في ذلك الاضطراب أو الخلط إلى أمور ثلاثة هي:

أولاً : القاعدة التي أرساها النحاة والصرفيون ؛ ويقصد بها قاعدة التقسيم الثلاثي للزمن ، وفقًا لصيغ ثلاثة هي: (فعل) للدلالة على الماضي، (يفعل) للدلالة على المضارع أو الحاضر، و(افعل) للدلالة على الاستقبال ، وهذا ما أكده الدكتور تمام حسان بقوله[4]:

---

١ ابن السراج، الأصول في النحو ، ط٣، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٦٦م ، ج١/٧٣.

٢ الاستراباذي ، رضي الدين ، شرح الكافية ، ط٢ ، منشورات قار يونس ، بنغازي ، ١٩٩٦م ، ج٤/١٨١-١٨٢ .

٣ ينظر : شكري المبخوت توجيه النفي ، ص ٣١-٣٢ .

٤ ينظر : تمام حسان ،اللغة العربية مهناها ومبناها ، عالم الكتب القاهرة ، ١٩٩٨م ، ص ١٧ وما بعدها .

(النحاة درسوا زمن الأفعال على المستوى الصرفي ، وهي في عزلتها عن التراكيب ، ولم يختبروا نتائج دراستهم إلا في تركيب الجملة الخبرية البسيطة ؛ فرأوا الماضي ماضيًا دائمًا ، والمضارع حالاً أو استقبالاً دائمًا ؛ فوضعوا بذلك قواعدهم الزمنية ، ثم اصطدموا بعد ذلك بأساليب الإنشاء والإفصاح ؛ فنسبوا وظيفة الزمن إلى الأدوات ، وهي منه براء ، وإلى الظروف ، وهي تفيده معجميًا لا وظيفيًا) .

ثانيًا : ارتباط الدلالة على النفي بأدوات النفي ؛ ولعل هذا الارتباط هو الآخر قد شابه الخلط ؛ ويكشف نص سيبويه الآتي ، مدى تعدد تلك الأدوات ، وتداخل صيغها ، وتنوع دلالاتها ؛ حيث يقول : (وإذا قال : فعل ؛ فإن نفيه : لم يفعل ، وإذا قال : قد فعل ، فإن نفيه : لمّا يفعل ، وإذا قال : لقد فعل ، فإن نفيه : ما فعل ؛ لأنه كأنه قال : والله لقد فعل ، فقال : والله ما فعل ، وإذا قال : هويفعل ، أي هو في حال فعل ؛ فإن نفيه : ما يفعل ، وإذا قال : هو يفعل ، ولم يكن الفعل واقعًا : فنفيه لا يفعل ، كأنه قال : والله ليفعلن، فقلت: والله لا يفعل، وإذا قال: سوف يفعل؛ فإن نفيه: لن يفعل) [1].

ولا شك أن صيغ النفي – وفقًا لنص سيبويه – متعددة ، ومع تعددها فإن الفروق بينها دقيقة ، والدلالات أدق ؛ وهو ما يثبت قدر التداخل بين صيغ النفي عامة ، وتنوع دلالات أزمنة الكون المنفي خاصة .

ثالثًا : التناوب الملحوظ بين أزمنة الأفعال عامة ، وأفعال الكون – ذاتها – على وجه الخصوص ؛ مما يدعم ضرورة الاتكاء على السياق بأنواعه ؛ للوقوف على الدلالة الدقيقة لكل منها، والجدير بالذكر أن قدامى النحاة قد التفتوا إلى مسألة تأرجح الدلالة على الزمن من ناحية ، وإلى دور السياق في كشف الدلالة الدقيقة على الزمن من ناحية أخرى ؛ فلم تكن دلالة الماضي

---

١ سيبويه ، الكتاب ، تحقيق :عبد السلام هارون ، دار الجيل بيروت ، ط ١ ، د.ت ، ج١١٧/٣ .

لديهم مقصورة على الماضي دائمًا ، والأمر ذاته بالنسبة للمضارع ؛ فلم يكن ليدل على الحاضر بصفة مستمرة ؛ فقد يرد في السياق من القرائن ما يؤيد تحول دلالة المضارع إلى الماضي ؛ فهذا ابن الشجري يقول : (العرب قد أوقعت أمثلة الأفعال موقع بعض ، مع حصول العلم بما يقصدونه ، فأوقعوا الماضي موضع المستقبل ، والمستقبل في موضع الماضي ، فمن إيقاع المستقبل موضع الماضي ، قوله تعالى : (فلم تقتلون أنبياءَ اللهِ مِن قبل) ، سورة البقرة ، آية ٩١ ،أوقع (تقتلون) في موضع (قتلتم) ، ومثله : (مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُم مِّن قَبْلُ ۚ) سورة هود ، آية ١٠٩ ، والمعنى : كما عبد آباؤهم ، ومن إيقاع الماضي في موضع المستقبل ، قوله تعالى : (ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة) ، سورة الأعراف آية ٥ ، أراد : " ينادي " ؛ لأن هذا النداء إنما يكون يوم القيامة ، ومثله : (وإذ قال الله ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله) ، المائدة ، ١١٦ ، أراد ، " إذ يقول ")[1] .

ووقع ذلك في أشعار العرب في مواضع كثيرة ، منها على سبيل المثال لا الحصر ، قول الطرماح[2] :

وإني لآتيكم تشكرُ مَا مَضى مِن البِرّ واستحباب مَا كانَ مِن غَدِ

والمعنى – لا شك – ما يكون في غد ، حيث أوقع (كان) موضع (يكون) .

والنص الآتي من الخصائص يدعم فكرة التناوب بين الأفعال، حيث يقول: (سألت يومًا أبا بكر – يقصد ابن السراج – عن الأفعال؛ يقع بعضها موقع

---

١ هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة الحسيني العلوي ، آمالي ابن الشجري ، تحقيق : د. محمود محمد الطناحي ، ط١، الخانجي ، القاهرة ، ١٩٩٢م ، ج٢/٣٤-٣٥ .

٢ ورد هذا البيت منسوبًا إلى الى الطرماح في : الدرر اللوامع على همع الهوامع ، الأمين الشنقيطي ، وضع حواشيه ، محمد باسل ، ط١، دار الكتب العلمية بيروت ، ١٩٩٩م ، ج ١١/١ . كما ورد في : المعجم المفصل في شواهد النحو الشعرية ، إميل يعقوب ، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٢م، ج٢٦٣/١ .

بعض ، فقال : كان ينبغي للأفعال أن تكون مثالاً واحدًا ، ؛ لأنها لمعنى واحد ، ولكن خولف بين صيغها لاختلاف أحوال الزمان ، فإذا اقترن بالفعل ما يدل عليه من لفظ أو حال ؛ جاز وقوع بعضها موقع بعض)[1] .

١ ابن جني ، الخصائص ، تحقيق : محمد علي النجار ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط٣ ،١٩٨٦م ، ج٣/٣٣٤ .

المبحث الأول

(الكون المنفي " لفظاً ومعنى ")

أقصد بهذا النمط من أنماط الكون المنفي ، أن دلالة النفي قد تحققت داخل السياق الذي تصدرته ألفاظ الكون المنفي (أداة نفي + فعل الكينونة) ، سواء تحققت دلالة النفي تحققًا مطلقًا ، وهو ما سيأتي تحت عنوان " النفي المطلق " ، أو ارتبط تحققها بقيد أو شرط ، وهو ما سيأتي تحت عنوان " النفي المقيد " ؛ في الأخير لم تخرج دلالة السياق هنا من الدلالة على النفي إلى دلالة أخرى ، كالنهي على سبيل المثال ، كما لم يؤول المعنى– في الوقت ذاته – على معنى غير النفي العام ؛ ليعكس دلالة أخرى .

المطلب الأول

النفي المطلق

يقصد الباحث من وراء وصف (المطلق) ، المصاحب لـ (النفي) ، في هذا المبحث : وقوع النفي من ناحيتي (اللفظ والمعنى معًا) ، دون قيد أو شرط أو نحوهما ، والنفي المطلق وفقًا لهذا التصور ، يتوافق مع المفهوم الذي عرضه أحمد خليل عمايرة ، وإن كان ما عرضه عمايرة كان مفهومًا عامًا للنفي ، حيث يقول : (النفي باب من أبواب المعنى ، يهدف به المتكلم إخراج الحكم في تركيب لغوي مثبت إلى ضده ، وتحويل معنى ذهني فيه الإيجاب والقبول إلى حكم يخالفه إلى نقيضه ، باستخدام صيغة تحتوي على عنصر يفيد ذلك الحكم ، عن طريق غير مباشرة من المقابلة أو ذكر الضد ، أو بتعبير يسود في مجتمع ما ، فيقترن بضد الإيجاب والإثبات)[1] .

وفي ضوء ما تقدم فإن النفي وفقًا لهذا التصور يعادل الإيجاب في القوة والأهمية. يدعم قولنا هذا قول ابن يعيش : (اعلم أن النفي إنما يكون على حسب الإيجاب ؛ لأنه إكذاب له ؛ فينبغي أن يكون على وفق لفظه ، لا فرق بينهما ، إلا أن أحدهما نفي والآخر إيجاب)[2] . كما يدعم قولنا أيضا قول ابن سيده : (النفي كثير الدوران في الكلام ، وهو من الأساليب اللغوية الضرورية ، كالإثبات والتوكيد والشرط ... إلخ ، وهو ضد الإيجاب)[3] .

---

١ خليل أحمد عمايرة ، أسلوب النفي والاستفهام في العربية " في منهج وصفي في التحليل اللغوي " ، سلسلة دراسات وآراء في ضوء علم اللغة المعاصر ، ٧ ، جامعة اليرموك ، ، د.ت. ، ص ٥٦ .

٢ ابن بعيش ، شرح المفصل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ٢٠٠١م ، ج٥/٣١ .

٣ ابن سيده ، أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي (ت ٤٥٨هـ) ، المخصص ، ط بيروت ، المكتب التجاري للطباعة ، ج٤/سفر ١٣/ ص٢٤٨ .

ويبدو أن فكرة قوة النفي قد نتج عنها فكرة "حيز النفي " ، تلك الفكرة التي تثبت دور السياق في إماطة اللثام عن حدود وقوع النفي من عدمه ، أو بمعنى أكثر دقة حدود وقوع دلالة النفي ، ومن ثم يجدر بالدراسة إلقاء الضوء على تلك الفكرة ؛ لما لها من أهمية في مبحث النفي ؛ فقد ارتكز (شكري المبخوت) حول فكرة أطلق عليها (حيز النفي) ، وتتلخص تلك الفكرة – وفق تصوره – في أن حيز النفي ، أي حدوده ، هو الكلام الذي يليه ، بمختلف مكوناته اللغوية ، وهو ما يعني أن مجموع هذه المكونات هو معمول حرف النفي ، إلا أنه نظريًا قد يكون المعمول عنصرًا واحدًا ، أو مركبًا اسميًا ، أو قد يكون بنية من العلاقات النحوية ... ، إن حيز النفي هو المكونات التي تلي حرف النفي ، وتتعلق به [1].

وهذا يؤكد محدودية تأثير حرف النفي ، أو عامل النفي ؛ مما يدعم فكرة أن صدارة الكون المنفي للسياق لا تعني سيطرة دلالة النفي المطلق ؛ ومن ثم نتجت فكرة حيز النفي ، التي تفيد بمحدودية أثر أداة النفي على المعنى المطلق . وبالتالي فإنه يمكن تصور الجملة المنفية – وفقًا لرؤية شكري المبخوت – بوصفها جملة (ذات احتمالات كثيرة ، تسلط حرف النفي على مكوّن من مكوناتها، وهذا إشكال آخر، يبرز بعض الاحتمالات المتعددة)[2].

الجدير بالذكر أن المبخوت قد قدم مجموعة من المقترحات الأساسية حول النفي وهي :

أولاً : أن النفي يرتبط بالإثبات ارتباطًا نظاميًا ؛ هذا الارتباط يجعل كل جملة منفية ردًا على جملة مثبتة ، سواء أكانت هذه الجملة المثبتة قد قيلت ، أو تصوّرها المتكلم النافي .

---

١ شكري المبخوت ، توجيه النفي في تعامله مع الجهات والأسوار والروابط ، دار الكتاب الجديد ، المتحدة ، ط ١ ، ٢٠٠٩م ،ص ١٣ .

٢ شكري المبخوت ، توجيه النفي في تعامله مع الجهات والأسوار والروابط ، دار الكتاب الجديد ، المتحدة ، ط ١ ، ٢٠٠٩م ،ص ١٣

وهو ما يعني أن ينبني النفي والإثبات بنيتين مترابطتين داخل النظام المجرد قبل الإنجاز ، ولا يفسر الإنجاز إلا استنادًا إلى هذا التشارط النظامي (الإثبات / النفي) .

ثانيًا : أن النفي ينبني على حسب الإثبات بناءً يرد فيه النفي مضمون إثبات المثبت ، ثم يرده ويدحضه ، وهذا الرد بمعنييه الترديد والدحض ؛ يجعل النفي مقتضيًا تخاطبيًا للإثبات ، إضافة إلى تشارطهما النظامي .

ثالثًا : أن ما يطرأ على الجملة المنفية من تغيير في ترتيب عناصرها ، إنما هو أمر عائد إلى احتمالات بلاغية تداولية ، تتهيأ الجملة نظاميًا للتعبير عنها.

رابعًا : يكشف النظر في الشروط الدلالية لبنية عمل النفي ، عن اختلاف بينها وبين شروط عمل الإثبات ... ، فحملت خصائص النفي وشروطه على خصائص الخبر عمومًا ، والإثبات على وجه التحديد ، وشروطهما[1] .

وفيما يأتي تعرض الدراسة لأمثلة من هذا النوع من أنواع الكون المنفي المطلق :

برصد الآيات التي تضمنت وقوع دلالة مطلق النفي ، نجد أن منها مجموعة من الآيات التي ارتبطت بسياق إثبات وحدانية المولى سبحانه وتعالى ، وإثبات قدرته جل شأنه ، وإثبات أفضاله على عباده وخلقه ، وقد جاء التعبير بصيغة الكون المنفي أعمق دلالة على الإثبات ، من الجمل المثبتة لفظًا ؛ وهو ما يؤكد صحة تصور مفهومنا للنفي المطلق ، إذ إن كل جملة منفية لا بد أن تقابلها جملة مثبتة ، وربما حقق النفي دلالة أعمق من الإثبات أرداها المتكلم؛ ليدفع عن المتلقي أدنى درجات الشك في وقوع أي معنى غير مراد.

ويمكن تقسيم السياقات التي ورد فيها النفي بدلالته المطلقة في ضوء التقسيم الآتي :

---

١ شكري المبخوت ، المرجع سابق ، ص١٢ ، ١٣ .

أولاً : سياقات تثبت وحدانية المولى سبحانه وتفرده ، وتنفي عنه – جل في علاه – أن يكون له شريك في ملكه ،وتقر في الوقت ذاته بقدرته وسلطانه ، ومنها :

- المثال الأول : قول الله تعالى : (مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍۚ) ، المؤمنون /٩١ .

يقول الإمام القرطبي رضي الله عنه : (ما اتخذ الله من ولد من صلة . وما كان معه من إله من زائدة ؛ والتقدير : ما اتخذ الله ولدا كما زعمتم ، ولا كان معه إله فيما خلق . وفي الكلام حذف ؛ والمعنى : لو كانت معه آلهة لانفرد كل إله بخلقه . ولعلا بعضهم على بعض أي ولغالب وطلب القوي الضعيف كالعادة بين الملوك ، وكان الضعيف المغلوب لا يستحق الإلهية . وهذا الذي يدل على نفي الشريك يدل على نفي الولد أيضا ؛ لأن الولد ينازع الأب في الملك منازعة الشريك)[1]. وهنا تتجلى دلالة قوة النفي المطلق ، والقوة الإنجازية للنفي التي تتناسب مع خطورة المنفي .

- المثال الثاني : قول الله تعالى : (وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ ۖ) ، الإسراء /١١١ .

نلاحظ هنا ارتباط السياق أيضًا بنفي الشرك ، وإثبات الوحدانية لله – عز وجل – عبر توالي الجمل المنفية نفيًا مطلقًا ، باستخدام (لم) النافية ، المتلوة بفعل الكينونة ؛ مما يثبت قوة النفي في إقرار المعنى من ناحية ، ويوجب دلالة التصديق من ناحية أخرى . وفي هذه الآية – كما ذكر الطبري خطاب مباشر من المولى سبحانه ، إلى النبي ﷺ: (يقول تعالى ذكره لنبيّه محمد ﷺ) وَقُلْ (يا محمد) الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا (فيكون مربوبا لا ربا، لأن ربّ

---

١ القرطبي ،أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، " ت ٦٧١هـ " ، تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م ، سورة المؤمنون ، آية ٩١ .

الأرباب لا ينبغي أن يكون له ولد) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ (فيكون عاجزا ذا حاجة إلى معونة غيره ضعيفا، ولا يكون إلها من يكون محتاجًا إلى معين على ما حاول، ولم يكن منفردا بالمُلك والسلطان)وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ (يقول: ولم يكن له حليف حالفه من الذّل الذي به، لأن من كان ذا حاجة إلى نصرة غيره، فذليل مهين، ولا يكون من كان ذليلا مهينا يحتاج إلى ناصر)[1] .

- المثال الثالث : قول الله تعالى : (وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض) ، فاطر /٤٤ .

يظل إثبات قدرة المولى سبحانه بين يدي نبيه صلى الله عليه وسلم أمرًا حتميًا ؛ لبث الثقة في نفسه وأصحابه رضوان الله عليهم ؛ لذا يذكر المفسرون أن يد الله مطلقة ، وسلطانه عليهم بيّن ، مهما بلغوا من شأن ؛ ومن ثم وجه المولى نداءه إلى النبي أيضًا في هذه الآية ؛ ليثبت له هيمنته سبحانه وأنه كما ذكر الإمام الطبري : (لن يعجزنا يا محمد هؤلاء المشركون بالله من عبدة الآلهة المكذبون محمدًا، فيسبقونا هربًا في الأرض إذا نحن أردنا هلاكهم؛ لأن الله لم يكن ليعجزه شيء يريده في السماوات ولا في الأرض، ولن يقدر هؤلاء المشركون أن ينفذوا من أقطار السماوات والأرض)[2] .

- المثال الرابع: قول الله تعالى: (وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا) ، مريم /٦٤ .

على إيجاز تركيب النفي في هذه الآية الشريفة : ("ما " النافية + فعل الكون في صيغة الماضي " كان " + الوصف المنفي " نسيًا ") ، إلا أن سياق الآية الشريفة يكشف مدى حاجة النبي – ﷺ– إلى ذلك النفي القاطع لفظًا ومعنى ؛ إذ يذكر المفسرون (أن هذه الآية قد نزلت من أجل استبطاء

---

١ الطبري ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآمالي أبو جعفر الطيب ، " ٢٢٤-٣١٠هـ " ، تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن) ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، ط ١، ١٤٢٠هـ ، ٢٠٠٠م ، سورة الإسراء /١١١ .

٢ الطبري ، السابق نفسه ، سورة مريم / ٦٤ .

رسول الله ﷺ جبرائيل بالوحي ، فكان رد المولى عليه : فلا تستبطئنا يا محمد في تخلفنا عنك، فإنا لا نتنزل من السماء إلى الأرض إلا بأمر ربك لنا بالنزول إليها، لله ما هو حادث من أمور الآخرة التي لم تأت وهي آتية، وما قد مضى فخلفناه من أمر الدنيا، وما بين وقتنا هذا إلى قيام الساعة ، بيده ذلك كله، وهو مالكه ومصرّفه، لا يملك ذلك غيره، فليس لنا أن نحدث في سلطانه أمرا إلا بأمره إيانا به) وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا (يقول: ولم يكن ربك ذا نسيان، فيتأخر نزولي إليك بنسيانه إياك بل هو الذي لا يعزب عنه شيء في السماء ولا في الأرض فتبارك وتعالى ولكنه أعلم بما يدبر ويقضي في خلقه. جلّ ثناؤه)[1] .

وتأسيسًا على ما تقدم تتجلى القيمة الدلالية (لنفي الكون) في تثبيت قلوب المؤمنين ، ومن قبلهم سيد الخلق صلوات ربي وسلامه عليه ، وهنا يحقق النفي قوة لا يحققها الإثبات .

- المثال الخامس : قول الله تعالى : (وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ) ، المؤمنون /١٧ .

تأتي جملة الكون المنفي في هذا السياق القرآني ؛ لتبث الطمأنينة في نفوس العباد من ربهم الخالق ، الذي تستدعي قدرته عدم الغفلة عن خلقه ؛ ومن ثم حملت الجملة المنفية نفيًا مطلقًا لفظًا ومعنى دلالات اليقين في الله الخالق ، ويؤكد الإمام السعدي مثل هذا المعنى بقوله : (لما ذكر تعالى خلق الآدمي، ذكر سكنه، وتوفر النعم عليه من كل وجه فقال(وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سقفا للبلاد، ومصلحة للعباد (سَبْعَ طَرَائِقَ) أي: سبع سماوات طباقا، كل طبقة فوق الأخرى، قد زينت بالنجوم والشمس والقمر، وأودع فيها من مصالح الخلق ما أودع، (وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ) فكما أن خلقنا عام لكل مخلوق، فعلمنا

---

١ الطبري ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآمالي أبو جعفر الطيب ، " ٢٢٤-٣١٠هـ " ، تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن) ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، ط ١، ١٤٢٠هـ ، ٢٠٠٠م ، سورة مريم / ٦٤ .

أيضًا محيط بما خلقنا، فلا نغفل مخلوقا ولا ننساه، ولا نخلق خلقا فنضيعه، ولا نغفل عن السماء فتقع على الأرض، ولا ننسى ذرة في لجج البحار وجوانب الفلوات، ولا دابة إلا سقنا إليها رزقها)[1] .

ولا شك أن الأمثلة عديدة ، لا يتسع المقام للوقوف عليها جميعها ، ولا يسع مثل هذه الدراسة التعرض لكل مثال منها منفردًا ؛ ومن ثم كان الاقتصارعلى اختيار بعض النماذج منها فحسب ؛بغية إثبات وجود النمط ، والاختيار يعني الترك .

- **ثانيًا : سياقات تثبت نعم الله ﷻ، التي لا تحصى ولا تعد ، على عباده عامة ، وعلى رسله وأنبيائه خاصة ، وكذلك تنفي كثير من الادعاءات الباطلة التي رموا بها، ومنها :**

- المثال الأول : قول الله تعالى : (كُلًّا نُّمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا) ، سورة الإسراء / ٢٠.

تقتضي حكمة المولى وعدله سبحانه بين عباده أن يكون عطاؤه غير منقوص ؛لأن كل من خلقهم من صنع يده ؛ ومن ثم كانت ضرورة إثبات تلك المسلّمة عبر النفي المطلق بالفعل " كان " الماضي ، المسبوق بأداة النفي " ما " ، أعمق أثرًا من التعبير عنها بالإثبات ، يقول الطبري في هذه الآية أن الحديث موجه إلى النبي ﷺ: (يمدّ ربك يا محمد كلا الفريقين من مريدي العاجلة، ومريدي الآخرة، الساعي لها سعيها وهو مؤمن في هذه الدنيا من عطائه، فيرزقهما جميعا من رزقه إلى بلوغهما الأمد، واستيفائهما الأجل ما كتب لهما، ثم تختلف بهما الأحوال بعد الممات، وتفترق بهما بعد الورود المصادر، ففريق مريدي العاجلة إلى جهنم مصدَرهم، وفريق مريدي الآخرة إلى الجنة مآبهم) وَمَا كَانَ عَطَاءُ

---

١ السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر عبد الله السعدي ، " ت ١٣٧٦هـ " ، تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة ، ط ١، ١٤٢٠هـ ، ٢٠٠٠م ، سورة المؤمنون /١٧ .

رَبِّكَ مَحْظُورًا (يقول: وما كان عطاء ربك الذي يؤتيه من يشاء من خلقه في الدنيا ممنوعا عمن بسطه عليه لا يقدر أحد من خلقه منعه من ذلك، وقد آتاه الله إياه ، ... وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل ، وقالوا غير ممنوع بين عباده على حد سواء)[1].

- المثال الثاني : قول الله تعالى : (يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا) ، مريم /٢٨ .

حينما يأتي النفي المطلق من الخالق فدلالة إثبات الصلاح أعمق أثرًا ، وأدق دلالة ؛ بل إن نفي السوء عن شخص ؛ يكشف زيف كل قول يخالف الحقيقة ؛ ومن ثم كان تكرار النفي المطلق لفظًا ومعنى في هذا السياق أوقع أثرًا في نفس كل منكر جاحد متقول بالباطل على مريم ، وفي الوقت ذاته حينما يأتي الإقرار بالصلاح من الخالق الوهاب ، فلا مجال للإنكار ، لذا يقول السعدي : (لم يكن أبواك إلا صالحين سالمين من الشر، وخصوصا هذا الشر، الذي يشيرون إليه، وقصدهم: فكيف كنت على غير وصفهما؟ وأتيت بما لم يأتيا به؟. وذلك أن الذرية – في الغالب – بعضها من بعض، في الصلاح وضده، فتعجبوا – بحسب ما قام بقلوبهم – كيف وقع منها)[2] .

- المثال الثالث : قوله تعالى : (وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) ، الشورى/ ٥٢

---

١ الطبري ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآمالي أبو جعفر الطيب ، " ٢٢٤-٣١٠هـ " ، تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن) ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، ط ١، ١٤٢٠هـ ، ٢٠٠٠م ، سورة الإسراء /٢٠ ..

٢ السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر عبد الله السعدي ، " ت ١٣٧٦هـ " ، تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة ، ط ١، ١٤٢٠هـ ، ٢٠٠٠م ، سورة مريم /٢٨ .

كما سبق وأشرنا أن السياقات الجامعة لهذه المجموعة من الأمثلة هي تذكير المولى سبحانه لعباده عامة ، ولأنبيائه خاصة ببعض ما أنعم به عليهم ، ففي هذا السياق يذكر المولى سبحانه وتعالى نبيه محمدًا بنعمة كبرى ، عبر صدارة الجملة المنفية بـ " ما " النافية " المتبوعة بفعل الكون " كنت " ، ثم يتبع الجملة المنفية بذكر الفضل ؛ مما يعكس دلالة قوة النفي في إقرار الحقائق ، بصورة أكثر عمقًا من الجمل المثبتة ، يقول الطبري: (إن الله جلّ ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: (ما كنت تدري يا محمد أي شيء الكتاب ولا الإيمان اللذين أعطيناكهما. ولكن جعلنا هذا القرآن وهو الكتاب نورًا ، يعني ضياءً للناس يستضيئون بضوئه الذي بيّن الله فيه الرشاد)[1] .

ويؤكد الإمام القرطبي أن الآية تذكير للنبي بأفضال ربه بصدارة جملة النفي التي تؤكد عدم دراية الرسول بما كان من قبل الشرائع ؛ حيث يقول : (معنى الإيمان في هذه الآية شرائع الإيمان ومعالمه ، ذكره الثعلبي . وقيل : تفاصيل هذا الشرع ، أي : كنت غافلا عن هذه التفاصيل . ويجوز إطلاق لفظ الإيمان على تفاصيل الشرع ، ذكره القشيري : وقيل : ما كنت تدري قبل الوحي أن تقرأ القرآن ، ولا كيف تدعو الخلق إلى الإيمان ، ونحوه عن أبي العالية . وقال بكر القاضي : ولا الإيمان الذي هو الفرائض والأحكام . قال : وكان قبل مؤمنا بتوحيده ثم نزلت الفرائض التي لم يكن يدريها قبل ، فزاد بالتكليف إيمانا)[2] ومن هنا كان الفضل ، فالله هو الذي تكفل بتعليمه ، وإدراكه لهذه الأمور كافة .

---

١ الطبري ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآمالي أبو جعفر الطيب ، " ٢٢٤-٣١٠هـ " ، تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن) ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، ط ١، ١٤٢٠هـ ، ٢٠٠٠م ، سورة الشورى / ٥٢ .

٢ القرطبي ،أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، " ت ٦٧١هـ " ، تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م ، سورة الشورى ، آية / ٥٢ .

- المثال الرابع : قول الله تعالى : (تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَاصْبِرْ ۖ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ) هود /٤٩

تمتد السياقات التي يذكر فيها المولى سبحانه نبيه بنعمه ، وكيف ينصره ويظهره على أعدائه ؛ والتذكير هنا بإقرار الحقائق ، عبر تلك الغيبيات التي لم يكن النبي على علم بها ، فجاء فضل ربه بإحاطته بها علمًا ؛ يقول المفسرون : (قوله تعالى لنبيه ورسوله محمد– صلى الله عليه وسلم – هذه القصة وأشباهها (من أنباء الغيب) ، يعني : من أخبار الغيوب السالفة نوحيها إليك على وجهها (وجليتها) ، كأنك شاهدها ، (نوحيها إليك) أي : نعلمك بها وحيا منا إليك ، ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا (أي : لم يكن عندك ولا عند أحد من قومك علم بها ، حتى يقول من يكذبك : إنك تعلمتها منه ، بل أخبرك الله بها مطابقة لما كان عليه الأمر الصحيح ، كما تشهد به كتب الأنبياء قبلك ، فاصبر على تكذيب من كذبك من قومك وأذاهم لك ، فإنا سننصرك ونحوطك بعنايتنا ، ونجعل العاقبة لك ولأتباعك في الدنيا والآخرة ، كما فعلنا بإخوانك بالمرسلين حيث نصرناهم على أعدائهم)[1] .

- المثال الخامس : قوله تعالى : (وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا) الكهف / ٤٣ .

يظل التذكير بأفضال الله ونعمه عبر الجمل المنفية الممتدة المعتمدة على صدارة أداوات النفي المتبوعة بأفعال الكينونة ، ملمحًا دلاليًا بارزًا يذكر كل ذي لب بما أنعم الله عليه ، وما صاحب الجنتين من تلك السياقات ببعيد ، كيف وقد منّ المولى عليه بعونه ؛ يقول الإمام السعدي في هذا الموضع: (لما نزل العذاب بجنته، ذهب عنه ما كان يفتخر به من قوله لصاحبه(أَنَا

١ ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي ، " ت ٧٧٤هـ ، تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم) ، تحقيق محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت ، ط١ ، ١٤١٩هـ ، سورة هود /٤٩ .

أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا) فلم يدفعوا عنه من العذاب شيئا، أشد ما كان إليهم حاجة، وما كان بنفس منتصرا، وكيف ينتصر، أي: يكون له أنصارا على قضاء الله وقدره الذي إذا أمضاه وقدره، لو اجتمع أهل السماء والأرض على إزالة شيء منه، لم يقدروا؟"

ولا يستبعد من رحمة الله ولطفه، أن صاحب هذه الجنة، التي أحيط بها، تحسنت حاله، ورزقه الله الإنابة إليه، وراجع رشده، وذهب تمرده وطغيانه، بدليل أنه أظهر الندم على شركه بربه، وأن الله أذهب عنه ما يطغيه، وعاقبه في الدنيا، وإذا أراد الله بعبد خيرا عجل له العقوبة في الدنيا. وفضل الله لا تحيط به الأوهام والعقول، ولا ينكره إلا ظالم جهول)[1] .

- **ثالثًا : سياقات تفيد دلالة الإخبار ، وتكشف حقائق الأمور ، وبيان مصائر كثير ممن خالفوا أوامر الله ، وتثبت حكمة المولى مما كان خافيًا على عباده ؛ ليزيد إيمانهم ، ومنها :**

- المثال الأول : قول الله تعالى : (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ) ، البقرة /١٦ .

يقول الإمام السعدي : (أولئك أي: المنافقون الموصوفون بتلك الصفات الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى { أي: رغبوا في الضلالة،رغبة المشتري بالسلعة، التي من رغبته فيها يبذل فيها الأثمان النفيسة. وهذا من أحسن الأمثلة،فإنه جعل الضلالة، التي هي غاية الشر كالسلعة، وجعل الهدى الذي هو غاية الصلاح بمنزلة الثمن، فبذلوا الهدى رغبة عنه بالضلالة رغبة فيها، فهذه تجارتهم،فبئس التجارة، وبئس الصفقة صفقتهم وإذا كان من بذل دينارا في مقابلة درهم خاسرا،فكيف من بذل جوهرة وأخذ عنها درهما؟ "فكيف من بذل الهدى في مقابلة الضلالة، واختار الشقاء على السعادة، ورغب في سافل الأمور عن

١ السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر عبد الله السعدي ، " ت ١٣٧٦هـ " ، تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) ، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة ، ط ١، ١٤٢٠هـ ، ٢٠٠٠م سورة الكهف / ٤٣ .

عاليها ؟ "فما ربحت تجارته، بل خسر فيها أعظم خسارة)[1] يقول الطبري : (يعني بقوله جل ثناؤه : (وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ)؛ ما كانوا رُشداءَ في اختيارهم الضلالةَ على الهدى، واستبدالهم الكفرَ بالإيمان، واشترائهم النفاقَ بالتصديق والإقرار)[2].

- المثال الثاني : قول الله تعالى : (فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ) ، الأعراف /٧٢ .

يكشف الله سرائر المكذبين الضالين، الذين كذبوا رسلهم، ولم يناصروهم، فينفي عنهم صفة الإيمان المطلق من جذورها ، فلم يقل سبحانه : وكانوا كاذبين ، ولم يقل : وكانوا كافرين ، وإنما نفى عنهم جل في علاه صفة الإيمان ؛ ليبين الحكمة من سوء العاقبة التي ذكرها السياق ، وهو قطع دابرهم بكذبهم ونفاقهم ، وهنا تتجلى القوة الإخبارية للتقرير بالكون المنفي " وما " + فعل الكينونة " كانوا " + " والوصف المنهي عنه " مؤمنين " ، وهو نفي يفوق الإثبات في الدلالة ؛ يؤكد ذلك قول الطبري في تفسيره : (قال أبو جعفر: فأنجينا نوحًا والذين معه من أتباعه على الإيمان به والتصديق به وبما دعَا إليه ، من توحيد الله ، وهجر الآلهة والأوثان برحمة منّا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا(يقول: وأهلكنا الذين كذَّبوا من قوم هود بحججنا جميعًا عن آخرهم، فلم نبق منهم أحدًا ، وما كانوا مؤمنين(يقول: لم يكونوا مصَدّقين بالله ولا برسوله هود)[3] .

- المثال الثالث : قول الله تعالى : (فَمَا اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ) ، الذاريات / ٤٥ .

---

١ السعدي ، السابق نفسه ، سورة البقرة /١٦ .

٢ الطبري ، تفسير الطبري ، سورة البقرة آية ١٦ .

٣ الطبري : تفسير الطبري ، سورة الأعراف ، آية / ٧٢ .

يكشف الله الحكمة من سوء العاقبة ، جزاءً بما قدموا من أعمال غير طيبة ، يقول الإمام القرطبي : (فما استطاعوا من قيام قيل : معناه من نهوض . وقيل : ما أطاقوا أن يستقلوا بعذاب الله وأن يتحملوه ويقوموا به ويدفعوه عن أنفسهم ؛ تقول : لا أقوم لهذا الأمر أي لا أطيقه . وقال ابن عباس : أي ذهبت أجسامهم وبقيت أرواحهم في العذاب. وما كانوا منتصرين أي ممتنعين من العذاب حين أهلكوا ، أي ما كان لهم ناصر [1]).

- المثال الرابع : قول الله تعالى : (وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ) ، الأنبياء /٨ .

هذه الآية تكشف أهمية النفي في جلاء الحقائق ، ودحض الشبهات ؛ فالآية كما ذكر الإمام السعدي: (جواب لشبه المكذبين للرسول القائلين: هلا كان ملكا، لا يحتاج إلى طعام وشراب، وتصرف في الأسواق، وهلا كان خالدا؟ فإذا لم يكن كذلك، دل على أنه ليس برسول.

وهذه الشبه ما زالت في قلوب المكذبين للرسل، تشابهوا في الكفر، فتشابهت أقوالهم، فأجاب تعالى عن هذه الشبه لهؤلاء المكذبين للرسول، المقرين بإثبات الرسل قبله – ولو لم يكن إلا إبراهيم عليه السلام، الذي قد أقر بنبوته جميع الطوائف، والمشركون يزعمون أنهم على دينه وملته – بأن الرسل قبل محمد صلى الله عليه وسلم، كلهم من البشر، الذين يأكلون الطعام، ويمشون في الأسواق، وتطرأ عليهم العوارض البشرية، من الموت وغيره، وأن الله أرسلهم إلى قومهم وأممهم، فصدقهم من صدقهم، وكذبهم من كذبهم، وأن الله صدقهم

---

١ القرطبي ،أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، " ت ٦٧١هـ " ، تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م ، سورة الذاريات /آية ٤٥ .

ما وعدهم به من النجاة، والسعادة لهم ولأتباعهم، وأهلك المسرفين المكذبين لهم[1].

وقوله : وما كانوا خالدين (أي : في الدنيا ، بل كانوا يعيشون ثم يموتون ،) وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد] (الأنبياء : ٣٤ [، وخاصتهم أنهم يوحى إليهم من الله عز وجل ، تنزل عليهم الملائكة عن الله بما يحكم في خلقه مما يأمر به وينهى عنه[2].

- المثال الخامس : قول الله تعالى : (فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ) ، الدخان / ٢٩ .

يقول الإمام السعدي : (لما أتلفهم الله وأهلكهم لم تبك عليهم السماء والأرض أي: لم يحزن عليهم ولم يؤس على فراقهم، بل كل استبشر بهلاكهم وتلفهم حتى السماء والأرض لأنهم ما خلفوا من آثارهم إلا ما يسود وجوههم ويوجب عليهم اللعنة والمقت من العالمين.وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ {أي: ممهلين عن العقوبة بل عذبهم بها في الحال) [3]. وما كانوا منظرين (لم ينظروا حين أخذهم العذاب لتوبة ولا لغيرها.[4]

---

١ السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر عبد الله السعدي ، " ت ١٣٧٦هـ " ، تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) ، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة ، ط ١، ١٤٢٠هـ ، ٢٠٠٠م ، سورة الأنبياء / ٨ .

٢ الطبري ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآمالي أبو جعفر الطيب ، " ٢٢٤-٣١٠هـ " ، تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن) ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، ط ١، ١٤٢٠هـ ، ٢٠٠٠م ، سورة الأنبياء /٨ .

٣ السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر عبد الله السعدي ، " ت ١٣٧٦هـ " ، تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) ، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة ، ط ١، ١٤٢٠هـ ، ٢٠٠٠م ، سورة الدخان / ٢٩ .

٤ البغوي ، أبو محمد الحسين بن سعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي ، " ت ٥١٠هـ " ، تفسير البغوي (معالم التنزيل في تفسير القرآن)، تحقيق : عبد الرازق المهدي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٠هـ ، سورة الدخان /آية ٢٩ .

المطلب الثاني

(النفي المقيد)

أعني بهذا النوع من النفي ، بأنه سياق مكون من شقين : أولهما : تصدرته أداة من أدوات النفي متبوعة بفعل الكون مع معموله المراد الحكم عليه، ثم يأتي الشق الثاني من السياق ليقيد ذلك الحكم بقيد أو شرط؛ مما يجعل حكم النفي حكمًا غير مطلق، وإنما مقرون وقوعه بوقوع الشرط أو القيد.

وقد نتج تصور الباحث لمفهوم النفي المقيد عن أمرين : أولهما :عند الالتفات إلى الشق الثاني من سياق الكون المنفي ؛ إذ يتضح أن دلالة وقوع النفي من عدمه مقرونة بالشق الثاني من السياق الواردة فيه ؛ مما يعني ضرورة عدم إغفال المعنى اعتمادًا على صدارة أداة النفي المتبوعة بفعل من أفعال الكون . الأمر الثاني : بعد الاطلاع على فكرة قيد النفي التي ألمح إليها شكري المبخوت بقوله: (من حكم النفي ، أنه إذا دخل على كلام ،ثم كان في ذلك الكلام تقييد على وجه من الوجوه ؛ فإن النفي يتوجه إلى ذلك التقييد، وأن يقع له خصوصًا)[1] .

الجدير بالذكر أن الدكتور تمام حسان ، كان قد توقف عند فكرة وجود (القيد) بشكل عام في قوله : (ويقصد بالقيد كل ما يأتي بعد علاقة الإسناد المعنوية الرابطة بين : الفعل والفاعل ونائب الفاعل ، من مفعول أو تمييز أو حال ، أو متعلق مما يندرج تحت علاقة معنوية كبرى ، تعرف بالتقييد)[2] .

وفي ضوء هذا التصور لمفهوم هذا النوع من النفي ، يمكن القول بأن وجود هذا الشرط في سياق هذا النوع من النفي ، إنما يعني تحقيق دلالة أخرى أقل في القوة التعبيرية عن مضمون النفي بمعناه المحكم والصارم على النحو

---

١ شكري المبخوت ، إنشاء النفي ، ص ٤٢٦ ، وينظر : عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، تحقيق : محمود محمد شاكر ،الخانجي ، ط١٩٨٤م ، ص ٢٧٩ .

٢ تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٩٨م ، ص ١٩٥ .

الذي يحققه في سياق النفي المطلق ، تلك الدلالة التي أعني أنها أقل من النفي إنما هي دلالة السلب ؛ ومن ثم يجدر بالبحث الوقوف عند مصطلح (السلب) ؛ بغية الوقوف على طبيعته ، وأهميته ، وبيان الفرق الدقيق بينه وبين النفي ، بالإضافة إلى استكشاف وظائفه الدلالية .

مصطلح (السلب) :

وهو من المصطلحات التي تمس (النفي) بصورة كبيرة ، ويربط بسياق الكون المنفي ارتباطًا وثيقًا ، وبتتبع هذا المصطلح لدى قدامى النحويين نجد أن ابن أبي الأصبع قد عرفه بقوله : (بناء الكلام على نفي الشيء من جهة ، وإيجابه من جهة أخرى)[1] . كما ذكر الجرجاني في التعريفات أن السلب هو (انتزاع النسبة)[2] .

ومن المحدثين الذين التفتوا إلى هذا المصطلح ، وحاولوا رصد الفارق الدقيق بينه ، وبين مصطلح النفي ، شكري المبخوت حيث يذهب إلى أن قوة السلب لا تبلغ قوة النفي ؛ لأن السلب معنى أبسط من النفي ، بوصفه قوة إنشائية ... ، وأن السلب قد يوجد في الألفاظ والأبنية دون أن يتلفظ به[3]) .

ومعنى ذلك أن النفي بمعناه المطلق يمثل قوة إنشائية ممتدة الدلالة ، في حين لا تتحقق تلك القوة الإنشائية مع السلب؛ ويعود السبب في ذلك – وفقًا لتصور الباحث – من وجود القيد في السياق ، مما يحد من القوة التأثيرية لأداة النفي . يدعم ذلك التفسير أن وجود القيد أو الشرط في السياق يحد من القوة الإنجازية التي تتميز بها أداة النفي ؛ إذ لا يكون النفي في هذا النوع غاية في ذاته ، وإنما يكون الارتكاز حول الشرط أو القيد الموجود في السياق .

---

١ ابن أبي الأصبع المصري ، بديع القرآن ، تحقيق : حنفي محمد شرف ، ط . نهضة مصر ، الفجالة ، ١٩٥٧ م ، ص ١١٦ .

٢ علي بن محمد الجرجاني ، التعريفات ، ط الحميدية المصرية، ١٣٢١ هـ ، ص ٨٢ .

٣ شكري المبخوت ، إنشاء النفي وشروطه النحوية والدلالية ، مركز النشر الجامعي ، تونس ٢٠٠٦م ، ص ٩٥ .

وفي ضوء ما تقدم فقد فرّق المبخوت بين ثلاثة أنماط – من شأنها إبراز الفارق الدقيق بين مصطلحي (النفي والسلب) – وذلك على النحو الآتي[١] :

- السلب باعتباره أبسط دلالة تسيطر على النفي .
- النفي باعتباره تعجيمًا في أي مستوى من المستويات النحوية للسلب .
- قوة النفي باعتبارها الدلالة المقصودة من إنشاء القول أو إلقائه .

وبناء على ما تقدم ؛ فإن السلب يقتضي صدار الكلام بأداة من أدوات النفي ، ثم نقضه بالإيجاب ، وكأن الخاصية المميزة للسلب تقتضي أمرين معًا هما :

- صدارة أداة النفي قبل فعل الكون .
- الاستدارك بأداة من أدوات التي تقيد – بشكل أو بآخر – وقوع النفي .

أما عن صدارة النفي ؛ فإن مرجعه إلى أن تلك الخاصية تتمتع بها الحروف التي توجه معنى القول ، وتؤثر في مضمونه ، وقد أشار إلى تلك المرجعية التي منحت حروف النفي تلك الصدارة ، حتى في سياق السلب بقوله : (كل ما يغير معنى الكلام ، ويؤثر في مضمونه ، وكان حرفًا ؛ فمرتبته الصدر ، كحروف النفي)[٢] ؛ ومن ثم تستمد حروف النفي قوتها .

أما عن ربط السلب بالإيجاب ، عبر أداة – غالبًا – تعكس دلالة الاستدراك ، فقد ذكر ابن يعيش ، حول معنى (لكن) – على سبيل المثال لا الحصر – ما نصه : (حرف للاستدراك لتوسطها بين كلامين متغايرين نفيًا وإيجابًا ، فيستدرك بها النفي بالإيجاب ، والإيجاب بالنفي)[٣] .

---

١ شكري المبخوت ، السابق نفسه ، ٩٦ .

٢ الاستراباذي ، رضي الدين ، شرح الكافية ، بنغازي ، منشورات قار يونس ، ط٢ ، ١٩٩٦م ، ج٣٣٦/٤ .

٣ ابن يعيش ، شرح المفصل ، ط المنيرية ، مصر ، د.ت . ، ج١٩٣/٢ .

وهنا تبرز الجدلية بين السلب والإيجاب ؛ ليحققا معًا عبر سياق واحد عمقًا دلاليًا ، يؤدي وظائف تداولية متعددة ، ما كانت لتتحقق لولا اجتماع السلب والإيجاب في سياق واحد .

الجدير بالذكر أن ابن يعيش قد تلمس تلك القوة التي يحققها النفي – بمعناه المطلق لا المقيد – منذ عدة قرون ، وذلك حين قال : (اعلم أن النفي إنما يكون على حسب الإيجاب ؛ لأنه إكذاب له ، فينبغي أن يكون على وفق لفظه، لا فرق بينهما ، إلا أن أحدهما نفي والآخر إيجاب)[1] . وكأن للنفي القوة الدلالية ذاتها التي تحققت بالإيجاب .

في حين يرى الباحث أن القوة التعبيرية للنفي قد تفوق نظيرتها في الإثبات ؛ والدليل على ذلك أن الشخص إذا قال : (ما كان درس النحو صعبًا)؛ فإن هذا القول أقوى تأثيرًا ، وأعمق دلالة من قول القائل: (كان درس النحو سهلاً)؛ إذ إن الجملة الأولى تستدعي في ذهن المتلقي معنى آخر – رغم عدم ذكره – هو أن درس النحو كان سهلاً بالفعل ، في حين لم تعكس الجملة المثبتة (كان درس النحو سهلاً) ، الدلالة ذاتها ؛ إذ إن سهولة درس النحو ، لم تنف عنه أن تكون هناك مواضع صعوبة .

كذلك لو قلنا : (ما كان محمدٌ كاذبًا) ؛ فإن هذا القول ينفي عن محمد الكذب مطلقًا ،ويثبت له الصدق في الوقت ذاته ، في حين لو قلنا : (كان محمدٌ صادقًا) ؛ فإن هذا القول – رغم أنه يثبت نسبة الصدق إلى محمد – إلا أنه لم ينف عنه احتمال الكذب .

وإذا حاولنا أن نتلمس أهمية السلب – رغم كونه أقل قوة تأثيرية في القول من النفي ؛ نظرًا لتقيده في سياقه بأداة تعكس دلالة الاستدراك – نجد أن تلك الأهمية قد حصرها شكري المبخوت في أمرين هما :

- أن السلب قد يسهم في تكوين دلالة بعض الأبنية ، دون أن تكون تلك الأبنية دالة على النفي ، ولكننا نسجل إمكان ترجمتها إلى بنية يوسم فيها السلب .

---

١ ابن يعيش ، شرح المفصل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠١م ، ج٥/٣١ .

- أن السلب يقوم على أساس الدمج بين النفي والإثبات في سياق واحد؛ مما يؤدي إلى وقوع وظائف تداولية متنوعة ، قد لا تتحقق إلا عبر الجمع بينهما .

يؤكد المبخوت تلك الأهمية الفريدة للسلب بقوله : (المبدأ منذ الخليل وسيبويه يقوم على افتراض أن الجملة المنفية تنفي جملة مثبتة ، وهذه العلاقات بقدر ما تبين تماسك الأبنية الإعرابية اقتضاءً واستلزامًا داخل النظام النحوي ، وهو أمر أساسي لأي نظرية نحوية ؛ فإنها تتبنى كذلك على أصول تخاطبية ، تخرج بهذه العلاقات عن مجرد الملاحظة أو التصنيف ، أو الأناقة النظرية ، إلى ربطها بالاستعمال، على نحو يفسر ما كان منه، ويتكهن بما سيكون)[1].

وقد أمكن الباحث رصد أربعة أنماط من (النفي المقيد) المعتمد على صدارة الكون المنفي ، في القرآن الكريم ، وذلك على النحو الآتي :

- **النمط الأول: السلب بفعل الكون المنفي لفظًا، والقيد بجملة مصدّرة بـ (إلا) .**

ومنها المواضع الآتية :

وقد تنوعت أنماط القيد أوالشرط ، ففي السياقات الآتية تمثل القيد في (إذن الله ، أو إرادة الله ، أو مشيئة الله) وذلك في مواضع منها :

– المثال الأول : قول الله تعالى: (وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا)، آل عمران / ١٤٥. يقول ابن كثير في هذه الآية (المراد أنه: لا يموت أحد إلا بقدر الله، حتى يستوفي المدة التي ضربها الله له)[2]. فالموت مقرون بقضاء الأجل .

---

١ المبخوت ، إنشاء النفي وشروطه النحوية والدلالية ، مركز النشر الجامعي ، تونس ٢٠٠٦م ، ص ٥٠-٥١ .

٢ ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي، " ت ٧٧٤هـ، تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم) ، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية ، منشورات محمد علي بيضون ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٩هـ ، سورة آل عمران /١٤٥.

- المثال الثاني: قول الله تعالى: (وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ)، يونس /١٠٠ .

يقول الطبري في هذا الموضع : (قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره لنبيه: وما كان لنفس خلقتُها من سبيل إلى تصديقك ، يا محمد ، إلا بأن آذن لها في ذلك، فلا تجهدنّ نفسك في طلب هداها، وبلِّغها وعيدَ الله ، وعرِّفها ما أمرك ربك بتعريفها، ثم خلِّها، فإن هداها بيد خالقها.)[1] . حتى الإيمان مقرون بإذن الله، وفقًا لما يعلمه الله وحده، هل تستحق تلك النفس تلك الدرجة الرفيعة أم لا.

- المثال الثالث : قول الله تعالى : (مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ) ، الأنعام/١١١.

يقول الإمام السعدي في هذا الموضع : (نعاقبهم، إذا لم يؤمنوا أول مرة يأتيهم فيها الداعي، وتقوم عليهم الحجة، بتقليب القلوب، والحيلولة بينهم وبين الإيمان، وعدم التوفيق لسلوك الصراط المستقيم. وهذا من عدل الله، وحكمته بعباده، فإنهم الذين جنوا على أنفسهم، وفتح لهم الباب فلم يدخلوا، وبين لهم الطريق فلم يسلكوا، فبعد ذلك إذا حرموا التوفيق، كان مناسبا لأحوالهم. وكذلك تعليقهم الإيمان بإرادتهم، ومشيئتهم وحدهم [2]) . فمشيئة الله فيهم واجبة ؛ لأنه وحده يعلم نجواهم .

- المثال الرابع: قول الله تعالى : (وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) غافر /٧٨ .

---

١ الطبري ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآمالي أبو جعفر الطيب، "٢٢٤-٣١٠هـ "، تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن)، تحقيق : أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة ، ط ١، ١٤٢٠هـ ، ٢٠٠٠م ، سورة يونس /١٠٠ .

٢ السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر عبد الله السعدي ، " ت ١٣٧٦هـ " ، تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة ، ط ١، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م ، سورة الأنعام /١١١ .

حتى آيات الرسل والأنبياء ، تكمن خلفها مشيئة الله وإرادته ؛ يقول المفسرون : (ما كان لأحد منهم أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ من الآيات السمعية والعقلية إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ أي: بمشيئته وأمره، فاقتراح المقترحين على الرسل الإتيان بالآيات، ظلم منهم، وتعنت، وتكذيب، بعد أن أيدهم الله بالآيات الدالة على صدقهم وصحة ما جاءوا به) .

وفي مواضع أخرى تمثل القيد في الإخبار عن حكمة في علم الله ، أو بيان كيفية يحددها المولى بقدرته ، ويجلها الإنسان ؛ فيأتي القيد ليكشف الحكمة الكامنة وراء ما أشكل على الإنسان إدراكه .

- المثال الأول: قول الله تعالى: (وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ)، التوبة /١١٤.

فالاستغفار هنا كان قرين الوعد الذي قطعه إبراهيم على نفسه بحكم طبيعته السمحة، وقد ذكر ابن كثير في هذه الآية أن (الله تعالى لما ذكر أن إبراهيم إنما استغفر لأبيه عن موعدة وعدها إياه، وقد كان إبراهيم كثير الدعاء حليمًا عمن ظلمه وأناله مكروها ؛ لهذا استغفر لأبيه مع شدة أذاه ، فحلم عنه مع أذاه له ، ودعا له واستغفر ...)[1]. ولكن سياق الآية الشريفة يؤكد أن هذا الاستغفار كان منشؤه طبيعة إبراهيم الأواه الحليم ، لكنه في الوقت ذاته لم يدم هذا الاستغفار منه لأبيه ، من بعد ما تبين له أنه عدو لله ؛ فتبرأ منه .

- المثال الثاني : قول الله تعالى : (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ) ، الشورى /٥١.

---

١ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي، " ت ٧٧٤هـ ، تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم) ، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية ، منشورات محمد علي بيضون ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٩هـ ،سورة التوبة /١١٤ .

تكشف الآية عن الكيفية التي حددها المولى سبحانه للكلام بينه وبين رسله ، وأنبيائه ، بعد صدارة السياق بالكون المنفي لفظًا ؛ لتأتي الجملة بعد إلا كاشفة عن الكيفيات التي حددها الله سبحانه لرسله وأنبيائه وخاصته ؛ يقول السعدي: (إن تكليمه تعالى لا يكون إلا لخواص خلقه، للأنبياء والمرسلين، وصفوته من العالمين، وأنه يكون على أحد هذه الأوجه: إما أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ وَحْيًا بأن يلقي الوحي في قلب الرسول، من غير إرسال ملك، ولا مخاطبة منه شفاها ، يكلمه مه منه شفاها، لكن }مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ{ كما حصل لموسى بن عمران، كليم الرحمن، أو يكلمه الله بواسطة الرسول الملكي، فـ }يُرْسِلَ رَسُولًا{كجبريل أو غيره من الملائكة [1]) .

- المثال الثالث : قول الله تعالى : (وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ) ، القصص /٥٩ .

تكشف الآية أن ظلم أهل القرى لأنفسهم هو المسوغ لهلاكهم بأفعالهم هم ، وليس ظلمًا من خالقهم تنزهت صفاته ، يقول المفسرون : (ومن حكمته ورحمته أن لا يعذب الأمم بمجرد كفرهم قبل إقامة الحجة عليهم، بإرسال الرسل إليهم، "مَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ " بالكفر والمعاصي، مستحقون للعقوبة. والحاصل: أن الله لا يعذب أحدا إلا بظلمه، وإقامة الحجة عليه)[2] .

ويقول القرطبي : (قال عز من قائل : وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون فنص في قوله) بظلم (على أنه لو أهلكهم وهم مصلحون لكان ذلك

١ السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر عبد الله السعدي ، " ت ١٣٧٦هـ " ، تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة ، ط ١، ١٤٢٠هـ ، ٢٠٠٠م ، سورة الشورى /٥١ .

٢ السعدي ، السابق نفسه ، سورة القصص / ٥٩ .

ظلما لهم منه ، وإن حاله في غناه وحكمته منافية للظلم ، دل على ذلك بحرف النفي مع لامه كما قال تعالى : وما كان الله ليضيع إيمانكم [1]) .

- **النمط الثاني : السلب بفعل الكون المنفي لفظًا ، والقيد بجملة مصدّرة بـ (حتى) .**

ومنها المواضع الآتية :

- المثال الأول : قول الله تعالى : (وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ۚ) القصص / ٥٩ .

يتمثل القيد – بعد صدارة الكون المنفي – في جملة مصدرة بـ (حتى)؛ تتكشف بعدها حكمة المولى من الفعل ، يقول السعدي: (فمن حكمته ورحمته أن لا يعذب الأمم بمجرد كفرهم قبل إقامة الحجة عليهم، بإرسال الرسل إليهم، ولهذا قال(وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى) أي: بكفرهم وظلمهم (حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا) أي: في القرية والمدينة التي إليها يرجعون، ونحوها يترددون، وكل ما حولها ينتجعها، ولا تخفى عليه أخبارها.

(رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا) الدالة على صحة ما جاء به، وصدق ما دعاهم إليه، فيبلغ قوله قاصيهم ودانيهم، بخلاف بعث الرسل في القرى البعيدة، والأطراف النائية، فإن ذلك مظنة الخفاء والجفاء، والمدن الأمهات مظنة الظهور والانتشار، وفي الغالب أنهم أقل جفاء من غيرهم)[2] .

- المثال الثاني : قول الله تعالى : (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا) . الإسراء / ١٥.

---

١ القرطبي ،أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، " ت ٦٧١هـ " ، تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م ، سورة القصص / آية ٥٩ .

٢ السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر عبد الله السعدي ، " ت ١٣٧٦هـ " ، تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) ، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة ، ط ١، ١٤٢٠هـ ، ٢٠٠٠م ، سورة القصص / ٥٩ .

يقول ابن كثير حول هذا الموضع من الآية : (إنها إخبار عن عدله تعالى، وأنه لا يعذب أحدا إلا بعد قيام الحجة عليه بإرسال الرسول إليه)[1]. وهو القيد الموجب للعذاب، ووقوعه مقرون بفعل العباد ، وليس مجرد حكم مسبق.

- المثال الثالث : قول الله تعالى : (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) التوبة / ١١٥ .

يقول الإمام السعدي : (يعني أن الله تعالى إذا منَّ على قوم بالهداية، وأمرهم بسلوك الصراط المستقيم، فإنه تعالى يتمم عليهم إحسانه، ويبين لهم جميع ما يحتاجون إليه، وتدعو إليه ضرورتهم، فلا يتركهم ضالين، جاهلين بأمور دينهم، ففي هذا دليل على كمال رحمته، وأن شريعته وافية بجميع ما يحتاجه العباد، في أصول الدين وفروعه)[2] .

- المثال الرابع : قول الله تعالى : (ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه ، حتى يميز الخبيث من الطيب) ، آل عمران / ١٧٩ .

يقول ابن كثير : (أي : لا بد أن يعقد سببا من المحنة ، يظهر فيه وليه ، ويفتضح فيه عدوه . يعرف به المؤمن الصابر ، والمنافق الفاجر . يعني بذلك يوم أحد الذي امتحن به المؤمنين ، فظهر به إيمانهم وصبرهم وجلدهم]

---

١ ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي ، " ت ٧٧٤هـ ، تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم) ، تحقيق محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، منشورات محمد علي بيضون ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٩هـ ،الإسراء /١١٥ .

٢ السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر عبد الله السعدي ، " ت ١٣٧٦هـ " ، تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) ، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة ، ط ١، ١٤٢٠هـ ، ٢٠٠٠م ، سورة التوبة / ١١٥ .

وثباتهم [وطاعتهم لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، وهتك به ستر المنافقين ، فظهر مخالفتهم ونكولهم عن الجهاد وخيانتهم لله ولرسوله[1]) .

- **النمط الثالث : السلب بفعل الكون المنفي لفظًا ، والقيد بجملة مصدّرة بـ (لكن) .**
- ومنها المواضع الآتية :

التمركز في هذا النمط من النفي يكون غالبًا في الشق الثاني من السياق ؛ إذ تتكشف فيه الحقائق ، وتتوالى فيه بيان الحكم الكامنة التي أرادها الله ، وكأن النفي موطأ لما سيلي ذكره ، وليس مرادًا لذاته .

- المثال الأول : قول الله تعالى : (مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) ، الأحزاب ٤٠ .

يقول السعدي : (أي: لم يكن الرسول }مُحَمَّدٌ {ْ صلى الله عليه وسلم }أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ {ْ أيها الأمة فقطع انتساب زيد بن حارثة منه، من هذا الباب.ولما كان هذا النفي عامًّا في جميع الأحوال، إن حمل ظاهر اللفظ على ظاهره، أي: لا أبوة نسب، ولا أبوة ادعاء، وقد كان تقرر فيما تقدم أن الرسول صلى الله عليه وسلم، أب للمؤمنين كلهم، وأزواجه أمهاتهم، فاحترز أن يدخل في هذا النوع، بعموم النهي المذكور، فقال } :وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ {ْأي: هذه مرتبته مرتبة المطاع المتبوع، المهتدى به، المؤمن له الذي يجب

---

١ ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي ، " ت ٧٧٤هـ ، تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم) ، تحقيق محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، منشورات محمد علي بيضون ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٩هـ ، آل عمران / ١٧٩ .

تقديم محبته، على محبة كل أحد، الناصح الذي لهم، أي: للمؤمنين، من بره]ونصحه [كأنه أب لهم) [1].

المثال الثاني : قول الله تعالى : (مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) ، آل عمران /٦٧ .

ذكر الطبري أن أبا جعفر قال في هذه الآية : (وهذا تكذيبٌ من الله عز وجل دعوَى الذين جادلوا في إبراهيم وملته من اليهود والنصارى، وادَّعوا أنه كان على ملتهم = وتبرئة لهم منه، وأنهم لدينه مخالفون = وقضاءٌ منه عز وجل لأهل الإسلام ولأمة محمد صلى الله عليه وسلم أنهم هم أهل دينه، وعلى منهاجه وشرائعه، دون سائر أهل الملل والأديان غيرهم.

يقول الله ﷻ: = ما كان إبراهيم يهوديًّا ولا نصرانيًّا ولا كان من المشركين، (٤٨) الذين يعبدون الأصنامَ والأوثانَ أو مخلوقًا دون خالقه الذي هو إله الخلق وبارئهم =" ولكن كان حنيفًا "، يعني: متبعًا أمرَ الله وطاعته، مستقيمًا على محجَّة الهدى التي أمر بلزومها "= مسلمًا "، يعني: خاشعًا لله بقلبه، متذللا له بجوارحه، مذعنًا لما فَرَض عليه وألزمه من أحكامه[2]) .

- المثال الثالث : قول الله تعالى : (مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) يوسف ١١١ .

يقول السعدي : (أي: ما كان هذا القرآن الذي قص الله به عليكم من أنباء الغيب ما قص من الأحاديث المفتراة المختلقة، وَلَكِنْ (كان) تصديق الَّذِي

---

١ السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر عبد الله السعدي ، " ت ١٣٧٦هـ " ، تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) ، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة ، ط ١، ١٤٢٠هـ ، ٢٠٠٠م ، سورة الأحزاب / ٤٠ .

٢ الطبري ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآمالي أبو جعفر الطيب ، " ٢٢٤-٣١٠هـ " ، تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن) ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، ط ١، ١٤٢٠هـ ، ٢٠٠٠م ، سورة آل عمران /٦٧ .

بَيْنَ يَدَيْهِ من الكتب السابقة، يوافقها ويشهد لها بالصحة، ، وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ {يحتاج إليه العباد من أصول الدين وفروعه، ومن الأدلة والبراهين. وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ، فإنهم – بسبب ما يحصل لهم به من العلم بالحق وإيثاره – يحصل لهم الهدى، وبما يحصل لهم من الثواب العاجل والآجل تحصل لهم الرحمة)[1] .

- النمط الرابع : السلب بفعل الكون المنفي لفظًا ،والقيد بجملة مصدّرة بـ (لولا) . ومنها المواضع الآتية :

قول الله تعالى : (وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ) الأعراف / ٤٣ .

يقول السعدي : (أي: ليس في نفوسنا قابلية للهدى، لولا أنه تعالى منَّ بهدايته واتباع رسله[2]).

١ السعدي ، مرجع سابق ، سورة يوسف ، آية ١١١ .

٢ السعدي ،المرجع السابق ، سورة الأعراف / الآية ٤٣ .

المبحث الثاني

(الكون المنفي " لفظاً دون معنى ")

المطلب الأول

خروج الكون المنفي على دلالة النفي

السؤال الذي يحاول هذا المبحث الإجابة عنه هو : هل كل ما ورد تحت مسمى الكون المنفي عكس دلالة النفي ؟ أم ستسهم نظرية السياق في الكشف عن دلالات جديدة لما اصطلح عليه بـ (الكون المنفي) ؟ وما أنواع تلك الدلالات ؟

فالمتتبع للسياقات التي ورد فيه تركيب الكون المنفي يلاحظ انتقال الدلالة من النفي إلى دلالات أخرى متنوعة ؛ حيث رصد الباحث التفاتات دقيقة في كتب التفسير تؤكد صحة تلك الرؤية ، وذلك على النحو الآتي :

خروج الكون المنفي إلى دلالة النهي :

- المثال الأول : قوله تعالى : (وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ) سورة آل عمران ، آية ١٦١ .

فالنفي في هذا الموضع يحتمل وجهين :

الوجه الأول[١] : أن يكون المراد نهي غيره من أن يظن به ظان شيئًا ، وألا يستريب به أحد ؛ وعليه تكون الدلالة على تعظيمه – صلى الله عليه وسلم – وتبرأته من الغلول ، وتنزيهه من ذلك ، والتنبيه على عصمته ... ، كما أن الوصف قد يكون لبيان أن النبوة والغلول متنافيان .

يؤكد دلالة النهي في الآية السابقة الرازي في التفسير الكبير ، وأبو حيان الأندلسي في البحر المحيط ؛ حيث ذكرا ما مفاده أن المراد في الآية الكريمة

---

١ ينظر : الزمخشري ، الكشاف ، دار الريان للتراث ، ط٢ ، ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م ، ج١/٤٣٣ .

هو: نهي غيره من الغلول ؛ فالمراد نهي الناس من الغلول في المغانم والتوعد عليه[1].

فسياق الكون المنفي قد (يكون فيه أثرة غضب ، ونبرة تهديد ؛ لأن ما عليه المنهي من صفات ، كفيلة بالانتهاء من غير أن ينهي)[2] .

يدعم وقوع دلالة النهي ، لا النفي أمران : أولهما : الوقوف عند المعنى اللغوي للمادة اللغوية لكلمة (نبي) ، التالية للكون المنفي في الآية السابقة ، يؤكد دلالة النهي عن ذلك الظن في النبي ؛ فالمادة اللغوية تتضمن معنى الرقة؛ فالنبوة والنباوة :الارتفاع ، وسمي نبيًا لرفعة محله عن سائر الناس[3] .

والملاحظ هنا تنكير كلمة (نبي) في هذه الآية ؛ مما يدعم دلالة استبعاد هذا الظن به – صلى الله عليه وسلم – ، ولم يقل سبحانه هنا (للنبي) تعريفًا؛ للدلالة على العموم ، أي نبي كان ، فكيف بسيد الأنبياء ، وإمام الرسل[4] ؟

ثاني هذين الأمرين – اللذين يدعمان دلالة النهي ، لا النفي – هو القراءات القرانية ؛ فقد قرأ ابن مسعود (أن يُغَل) ، مبنيًا للمفعول ؛ وإنما خصص النبي ﷺ بالذكر ، وإن كان حرًا مع غيره ؛ لشنعة الحال معه ﷺ؛ لأن المعاصي تعظم مع حضرته ؛ لتعيّن توقيره[5] .

---

١ ينظر : الفخر الرازي ، التفسير الكبير ، دار الغد العربي ، ٨/ ١٦١ . وينظر : أبو حيان الأندلسي ،البحر المحيط ، دار الفكر ، ١٤١٢هـ ، ١٩٩٢م ، ج٣/٤١٢ .

٢ محمد أبو موسى ، من أسرار التعبير القرآني " دراسة تحليلية لسورة الأحزاب " ، ط٢ ، ١٤١٦هـ ، ١٩٩٦م ، ص٣٢٦ .

٣ ينظر : الراغب الأصفهاني ، المفردات ، تحقيق محمد السيد كيلاني ، مطبعة الحلبي ، ١٣٨١هـ ، ١٩٦١م ، (نبي) ، ص٤٨٣.

٤ البقاعي : نظم الدرر في تناسب السور ، تحقيق : عبد الرازق غالب المهدي ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٥ م ، ج ٢/ ١٧٥ .

٥ ينظر : ابن عطية ، المحرر الوجيز ، تحقيق المجلس العلمي بفاس ، ١٤١٣هـ ، ١٩٩٢م وينظر : الفخر الرازي ، التفسير الكبير ، دار الغد العربي ، ٨/ ١٦١ .

الوجه الثاني : أن يكون مبالغة في النهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم المقصود بها : وما كان لنبي أن يعطي قومًا ، ويمنع آخرين ، بل عليه أن يتسم بالسوية[1] .

الجدير بالذكر أن ابن المنير ، والألوسي قد اختارا الوجه الثاني ، كما استدلا بأنه يشهد له ويدعمه ورود تلك الصيغة كثيرًا ؛ مما يدعم الخروج بدلالة الكون المنفي إلى دلالة النهي ، ومنها قوله تعالى : (وما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض) ، سورة الأنفال ، آية ٦٧ ، وقوله تعالى : (وما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين) ، سورة التوبة ، آية ١١٣ ، وقوله تعالى : (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله) ، سور الأحزاب ، آية ٥٣ [2].

- المثال الثاني : قوله تعالى : (وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا) ، سورة الأحزاب ، آية ٥٣ .

تكشف القراءة في كتب التفسير المتنوعة ، والاطلاع على أسباب النزول، أن سورة الأحزاب جاءت في سياق الدفاع عن الرسول ﷺ؛ وذلك فيما أوذي به من أنواع الإيذاء المختلفة والمتعددة ؛ حيث قتال الأحزاب له ، ومعاونة المنافقين ، وطعن المنافقين في نكاحه بزينب رضي الله عنها ، واشتغال بعض المسلمين بالأحاديث في بيته ﷺ؛ كل ذلك يرشح أن نفي الكون – أي الكون المنفي – في هذا الموضع من السورة قد خرج عن دلالة النفي إلى دلالة النهي، أو بصيغة أخرى ، وضع النفي موضع النهي؛ ومن ثم كان التعبير القرآني بصيغة الكون المنفي للدلالة على عدم صحة الفعل المذكور، (إيذاء

١ الزمخشري ، الكشاف ، دار الريان للتراث ، ط٢ ، ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م ، ج١ /٤٣٤ .
٢ ينظر : ابن المنير ، حاشية ابن المنير على الكشاف ، دار الريان للتراث ، ج١/٤٣٤ . ، وينظر : الألوسي ، روح المعاني ، دار الفكر ، ١٤١٧هـ ، ١٩٩٧م ، ج٤/١٠٩ .

الرسول ، ونكاح أزواجه من بعده) ، وكذلك عدم استقامته من المؤمنين بحال من الأحوال ، أو بوجه من الوجوه .

وهذا ما يفسر دلالة عدم النهي الصريح بلفظ النهي ، بل جاء التعبير بنفي الكون ؛ ليكون أشد وقعًا ، وأحدّ تحريمًا ؛ حيث عدم قبول ، وعدم تصور الأمر ؛ إذ إن النهي الصريح قد يتضمن الدلالة على إمكان الوقوع ، بخلاف ما تحقق مع صيغة الكون المنفي ؛ فإنه يتضمن دلالة أن الأمر لا يمكن أن يقع البتة[1] .

كما يكشف السياق أيضًا عن بُعدٍ أعمق ، ودلالة أدق ؛ فثبوت إضافة لفظ الجلالة (الله) إلى كلمة (رسول) ، إنما يعكس دلالة وجوب الإحسان منكم ، فلم يقل سبحانه (الرسول) ؛ مما يؤكد أن الأمر يتطلب التروي قبل التردي في تلك الموبقة . وهذا ما يؤكده البقاعي بقوله : (وذكّرهم بالوصف الذي هو سبب لسعادتهم ، واستحق به عليهم من الحق ما لا يقدرون على القيام بشكره ؛ فقال : (رسول الله) ، أي الذي له جميع الكمال ، فله إليكم من الإحسان ما يستوجب منكم به غاية الإكرام والإجلال ، فضلاً عن الأذى)[2] .

ويبدو أن ترك التصريح بالنهي أبلغ من التصريح به ، وأوقع تأثيرًا في النفس؛ فالمولى سبحانه لم يقل: (ولا تؤذوا)، وإنما قال : (وما كان لكم أن تؤذوا)؛ فالفرق بين التعبيرين هو فرق الغرض المساق له الكلام ، وما هو بمعناه ؛ لأن المراد هنا المبالغة في النهي ، وأنه لا يكون في منطق الفطرة ، وأن ذلك مما لا يحتاج أولو النهى التصريح فيه بنهيهم؛ إذ هم معرضون عنه جبلة[3] .

---

١ ينظر : محمود توفيق محمد سعد ، صورة الأمر والنهي في الذكر الحكيم ، مطبعة الأمانة ، ط١، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م ص٩٤ .

٢ البقاعي : نظم الدرر في تناسب السور ، تحقيق : عبد الرازق غالب المهدي ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٥ م ، ج ١٢٩/٦ .

٣ ينظر : محمود توفيق محمد سعد ، صورة الأمر والنهي في الذكر الحكيم ، مرجع سابق ، ص٩٤ .

- المثال الثالث : قوله تعالى: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ) سورة الأحزاب، آية ٣٦ .

يكشف سياق الآية الكريمة عن خروج الكون المنفي من الدلالة عن النفي، إلى الدلالة على النهي ؛ فالمراد من الآية النهي عن رد قضاء الله رب العالمين ، ونبيه من بعده ، ولكن الآية جاءت على صيغة النفي ؛ لدلالته على أن مقتضى الولاية لرسول الله ﷺ، وأن عقد الإيمان يستلزم عدم وقوع المنهي عنه ، فلذلك لم ينهوا . والدليل على صحة ذلك أن سياق الآيات قد صُدّرَ بقوله تعالى : (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) سورة الأحزاب ، آية ٦ ، فجاء البيان بعدها ببيان تلك الولاية ، والاستدلال عليها ، حتى انتهى إلى الصفات العشر ، ومنها الآية موضع الاستشهاد ، فالولاية إليه ﷺ تستلزم طاعته ، وعدم مخالفته؛ ومن ثم فقد امتنع نفي الكون عقلاً وشرعًا ووجودًا[1] .

اللافت للنظر أيضًا أن الوارد في سياق الآية التعبير بصيغتي: (مؤمن ، ومؤمنة) ، ولا شك أن إيثار التعبير بهما له دلالته ؛ إذ يعكس التعبير بهما – دون التعبير بالصيغة الفعلية – دلالة رسوخ الإيمان في نفوسهم ، مما ينتفي معه المخالفة.

بل إن سياق الحال لهذه الآية الكريمة ، بالإضافة إلى الدراية بأسباب النزول، يؤكدان ويدعمان معًا ، خروج الكون المنفي في هذه الآية على دلالة النفي؛ حيث كرهت السيدة زينب – رضي الله عنها وأرضاها – نكاح زيد – ﷺ– بعد أن أشار به رسول الله ﷺ؛ لذا ذيّل النفي بقوله تعالى: "ومن يعص الله ورسوله ، فقد ضلّ ضلالاً مبينًا"، وهو مايدعم عدم ثبوت دلالة النفي، ووقوع دلالة أكثر عمقا، وهي دلالة التهديد ، كما أن عطف كلمة (رسوله)، على لفظ الجلالة (الله) ، يؤكد دلالة النهي أيضًا ؛ فمع أن المراد – في

---

١ ينظر : ابن عطية ، المحرر الوجيز ، تحقيق المجلس العلمي بفاس ، ١٤١٣هـ ، ١٩٩٢م وينظر : الفخر الرازي ، التفسير الكبير ، دار الغد العربي ، ١٣ / ٧٥ .

ضوء سياق الحال – قضى رسول الله – إلا أن لفظ الجلالة جاء للإشارة إلى أن الرسول ﷺ بمكان عظيم ،فهو الناطق بقضاء الله وفضله، وهذا أدعى إلى الامتثال إلى الأمر والنهي[1] .

- المثال الرابع : قوله تعالى : (مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۚ) سورة التوبة ، آية ١٢٠ .

يكشف سياق الآية الشريفة دلالة وقوع النهي بلفظ الكون المنفي ؛ فسياق الآية قد تضمن نهيين ، يدعم فيها النهي الثاني بلفظه (ولا يرغبوا) ، خروج الكون المنفي إلى دلالة النهي ؛ والدليل عطف جملة (ولا يرغبوا) ، على جملة (ما كان) .

فقد أشار المفسرون إلى النهي الأول في قوله بصيغة نفي الكون: (ما كان)؛ حيث جاء متسقًا مع سياق العتاب ؛ حيث تقّدم في الآيات – عبر السياق – بيان تخلف البعض عن رسول الله ﷺ من أهل المدينة والأعراب ، فدل على أنه لا يقع في نفوس الصادقين تخلفٌ عنه ؛ والدليل ختم الآية السابقة بقوله : (وكونوا مع الصادقين) ، فإن أفضل الصادقين رسولُ الله ﷺ، ثم المهاجرون والأنصار ، وهذا يقتضي موافقة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وصحبته أنى توجه[2] .

ويؤكد الزمخشري دلالة النهي بقوله : (... وهذا نهي بليغ ، مع تقبيح لأمرهم، وتوبيخ له عليه ، وتهييج المتابعة بأنفةٍ وحميةٍ)[3] . وقد دعمت أقوال كثير من المفسرين حول هذه الآية بعضها بعضًا[4] .

---

١ محمد أبو موسى ، من أسرار التعبير القرآني " دراسة تحليلية لسورة الأحزاب " ، ط٢ ، ١٤١٦هـ ، ١٩٩٦م ، ص ٣٢٦ .

٢ أبو حيان الأندلسي ،البحر المحيط ، دار الفكر ، ١٤١٢هـ ، ١٩٩٢م ، ج ٥ / ٥٢٢ .

٣ الزمخشري ، الكشاف ، دار الريان للتراث ، ط٢ ، ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م ، ج٣٢١/٢ .

٤ للمزيد ينظر: التفسير الكبير ٢١٤/١٥ ، المحرر الوجيز ٢٩٨/٨ ، نظم الدر ٤٠٠/٣ .

ويقول البقاعي: (ووجه الإبلاغ في النهي ظاهر، في أن ذلك لا يقع أصلاً، وإن لم ينهوا عنه ، وأما وجه التهييج ، ففي تذكيرهم بمعدن النصرة)[1].

النهي الثاني في هذه الآية ، وقع بلفظه ودلالته، في قوله (ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه)؛ فقد أكد الزمخشري أن هذا القول مؤول بـ (وما كان لهم أن يرغبوا)؛ ففي النهي الثاني إمعان في المبالغة ، بدلالة إيثار " أنفسهم عن نفسه " بحرف المجاوزة ، فإنها أعز نفس عند الله وأكرمها عليه ، فإذا تعرضت كرامتها وعزتها للخوض في شدة وهول ، وجب على سائر الأنفس أن تتهافت فيما تعرضت له ، ولا يكترث لها أصحابها، ولا يقيموا لها وزنًا ، فضلاً عن أن يربأوا بأنفسهم عن متابعتها ومصاحبتها [2]. وبذلك تتصاعد دلالة المبالغة، وتعلو نبرة التهديد، بما يتناسب مع تقبيح ما أقدموا عليه ، وانتفاء دلالة النفي.

- المثال الخامس: قوله تعالى: (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ) سورة التوبة ، آية ١١٣ .

فسياق الآية الشريفة – كما تذكر كتب التفسير – هو سياق المفاضلة بين النبي وأصحابه من جانب ، وبين المشركين من جانب آخر ؛ تعظيمًا له – ﷺ– ، فالنفي هنا مستعمل في معنى النهي مبالغة في المفاضلة بين الفريقين ، وهذا هو الملائم لسياق (براءة) ؛ حيث كثر فيها الأمر بالبراءة من أحياء المشركين ، ومن أموات المنافقين ، بالنهي عن الدعاء لهم ؛ فناسب ذلك البراءة من أموات المشركين بالنهي عن الدعاء لهم[3] .

---

١ البقاعي : نظم الدرر في تناسب السور ، تحقيق : عبد الرازق غالب المهدي ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٥ م ، ج ١٢٩/٦ .

٢ الزمخشري ، الكشاف ، دار الريان للتراث ، ط٢ ، ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م ، ج٢/ ٣٢١ .

٣ البقاعي : نظم الدرر في تناسب السور ، تحقيق : عبد الرازق غالب المهدي ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٥ م ، ج٣/٣٩٢ .

ويؤكد الرازي أن حمل النفي – في هذه الآية – على النهي أولى ؛ فالمعنى لديه ليس لهم ذلك على معنى النهي[1] . ولعل إرادة النهي من لفظ نفي الكون ، تعكس دلالة أعمق من لفظ النهي ؛ إذ إن الأصل والفطرة تقتضي عدم الاستغفار ، وأن الأمر بمثابة الشيء الذي لا يتغير ، بل يتسم بالثبات ، على خلاف النهي الصريح .

ولعله من نافلة القول أن نذكر الدراية بأسباب النزول ، تكشف دور سياق المقام في الكشف عن الدلالة المرادة من وراء الآيات ؛ فقد ذكر البخاري – في كتاب التفسير[2] – أنه لما حضرت أبا طالب الوفاة ، دخل النبي – صلى الله عليه وسلم – وعنده أبو جهل ، وعبد الله بن أمية ، فقال النبي : أي عم ؛ قل: لا إله إلا الله ، أحاج لك بها عند الله ... ، فكان آخر ما كلمهم ، أن قال: هو على ملة عبد المطلب ، فقال النبي ﷺ: لأستغفرن لك ما لم أنه عنك؛ فنزلت الآية " ما كان للنبي ... " الآية ؛ فقوله ﷺ: " ما لم أنه عنك "، دليل على أن المراد والمقصد من النفي في هذا الموضع ، إنما هو النهي .

الجدير بالملاحظة هو أن السياقات الخمسة السابقة قد ربط بينها سياق دلالي واحد، هو (سياق تعظيم الرسول ﷺ، وبيان قدره عند ربه ، وبيان حرمته على وجوه مختلفة) :

- المثال السادس: قوله تعالى: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً ۚ) سورة النساء آية /٩٢

---

١ الفخر الرازي ، التفسير الكبير ، دار الغد العربي ، ٨/ ١٦١ . وينظر : أبو حيان الأندلسي ،البحر المحيط ، دار الفكر ، ١٤١٢هـ ، ١٩٩٢م ، ج١٥/١٩٥ .

٢ الإمام البخاري ، صحيح البخاري " فتح الباري " ، كتاب التفسير ، باب ما كان للنبي رقم ٤٦٧٥ ، ج ١٩٢/٨ . وينظر : محمود توفيق محمد سعد ، صورة الأمر والنهي في الذكر الحكيم ، ص٩٣ .

فالمراد – كما ذكر الشوكاني – في تفسير هذه الآية (لا يقتل مؤمنٌ مؤمنًا ؛ إذ لو كان هذا النفي على معناه لكان خبرًا ، وهو يستلزم صدقه ، فلا يوجد مؤمن قط مؤمنًا قط ...)[1] .

ووجه إيثار لفظ الكون المنفي هو الدلالة على أن حرمة القتل ثابتة من أول زمان التكليف ، وأنها لم تزل في حكم الله كذلك ، فدل على عدم الوجود البتة ابتداءً [2]. وهذا يدل أن فطرة المؤمن وصفاته مانعة من التردي في الوقوع في ذلك ، وعاصمة له ، ولو لم ينزل بتشريع إلهي ، ولهذا وقع النفي على المؤمنين خاصة ، بخلاف النهي ؛ فوقع على النفس . أما ارتباط النهي بسياق قتال المشركين والمنافقين ، ففيه تهويل من أمر قتل المسلم ، وتعظيم أمره ، فبالغ في تحريمه ، مخرجًا له في صورة النفي المؤكد بالكون – أي الكون المنفي – ؛ لتغليظ الزجر عنه ، بما يتلاقى مع سياق التهويل[3] .

وقد أكد ابن عربي أن النفي في هذا الموضع قد أفاد المبالغة في النهي من وجوه، منها: التقييد بالصيغة الاسمية (مؤمن)، وهو ما يعكس دلالة تأكيد نفي الوقوع؛ إذ المؤمنون أبعد من ذلك بحنانهم، وأخوتهم، وشفقتهم، وعقيدتهم[4].

وهنا تتجلى الدلالة العميقة للتعبير بالصيغة الاسمية (مؤمن) ، وليس الصيغة الفعلية ؛ وكأن صفة الإيمان في القاتل والمقتول تنافي الاجتماع مع

---

١ الشوكاني ، فتح القدير ، ط الجلبي ، ١٣٤٩هـ ، ج ٤٩٧/١ . ينظر: الكشاف ، ٥٤٨/١ ، روح المعاني ، ١١٢/٥، البقاعي ٢٩٦/٢

٢ ينظر : الزمخشري ، الكشاف ، ج٥٨/١ . وينظر : أبي حيان الأندلسي ، البحر المحيط ،ج١٩/٤ .

٣ ينظر : البقاعي : نظم الدرر في تناسب السور ، تحقيق : عبد الرازق غالب المهدي ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٥ م ، ج٢٦٩/٢ .

٤ ينظر : ابن عربي ، أحكام القرآن ، ت. محمد علي البجاوي ، دار الفكر العربي ، د. ت. ، ج٥٩٦/١ .

القتل في الأمر نفسه منافاة الضدين ؛ وذلك لقصد الإيذان بأن المؤمن إذا قتل مؤمنًا فقد سلب عنه وصف الإيمان ، وما هو بمؤمن ، على نحو ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن[١] .

- المثال السابع : قوله تعالى: (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً)، سورة التوبة ، آية ١٢٢ .

سياق الآية الكريمة هو سياق ذكر الجهاد ، وبيان كيفية قتال المشركين ، وما يكون عند لقائهم ؛ ومن ثم ذكر المفسرون أن النفي هنا مراد به النهي ؛ فالألوسي قد أشار إلى أن المراد نهيهم عن النفير جميعًا ؛ لما فيه من الإخلال بالتعلم ، فكان الأصل " لا تنفروا كافة " ، ولكن جاء النظم على النفي ؛ لإفادة المبالغة في الانتهاء[٢] .

يكاد يتفق جل المفسرين أن السياق يقتضي المبالغة في النهي ؛ نظرًا لخطورة العاقبة ، والمبالغة في النهي لا تتحقق دلالتها بالتعبير بالنهي المباشر ؛ ومن ثم كان نفي الكون ملائمًا لسياقه ؛ لأن سياق الموقف يؤكد أنه لما نزل في المتخلفين من الآيات الشدائد ، فقد استبق المؤمنون عن آخرهم إلى النفير ، وانقطعوا جميعًا عن الوحي ، والتفقه في الدين ؛ وهو ما يقتضي المبالغة في النهي عن النفير جميعًا ؛ كي لا ينقطع الناس عن التفقه الذي هو الجهاد الأكبر[٣] .

كان (ابن المنير) دقيقًا غاية الدقة في تعرضه لهذه الآية ؛ فقد ذهب إلى أن الكلام يحتمل أمرين : أولهما : الأمر لا النهي ، والثاني : خبر المراد به النهي ، مما يعني ثبوت دلالة النهي ؛ وبرهن صحة رؤيته بالاتكاء على سياق الموقف ؛ فعلى الأمر الأول ، فالمراد تنفير أهل البوادي إلى المدينة للتفقه ،

---

١ ينظر: الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير ، الدار التونسية ، ١٩٨٤م ، ص ١٥٧.

٢ الألوسي ، روح المعاني ، ج٤٨/١١ .

٣ ينظر :أبي حيان، البحر المحيط ، ج٥٢٦/٥-٥٢٧ ، الزمخشري ، الكشاف ج٣٢٣/٢ ، البقاعي ، نظم الدرر ج٣٩٦/٣ .

وهذا لو أمكن الجميع فعله ، لكان جائزًا أو واجبًا ، وعلى الوجه الثاني : لأن المؤمنين نفروا من المدينة أجمعين ، وكان ذلك ممكنًا بل واقعًا ؛ فنهوا عن إطراح التفقه بالكلية ، وأُمِروا أمر كفاية ، والمراد به النهي[1] .

١ ينظر : حاشية ابن المنير على الكشاف ، ج٣٢٢/٢ .

المطلب الثاني

نفي الانبغاء

يعني الباحث بهذا النمط من أنماط النفي بأنه : نمط تتمركز فكرة النفي فيه حول تأويل المعنى بقولنا : (ما كان ينبغي) ، أو (ما ينبغي) ، سواء ورد ذكر لفظ الانبغاء أو لم يرد ،وسواء وجدت " لام الجحود " أو لم توجد ، إلا أن تأويل المعنى يكون قائمًا على اعتبار وجود معنى (الانبغاء) .

. وهذه الفكرة في حد ذاتها تتفق وروح العربية ومذاهبها ، من حيث تأويل المعنى ؛ (... فالأقرب أنه لا يجب أن يكون لكل معنى لفظ يدل عليه ، بل ولا يجوز ؛ لأن المعاني التي يمكن أن يعقل كل واحد منها غير متناه)[1] .

يقول مصطفى النحاس : (وقد جاء " ما كان " لنفي الانبغاء كثيرًا في القرآن الكريم ، أي بمعنى : " ما ينبغي " ، سواء مع لام الجحود أو مع غيرها ، بمعنى أنه يمكن تأويل المعنى بقولنا : (ما ينبغي) أو (ما كان ينبغي) ؛ ومن ثم كان اصطلاح (نفي الانبغاء) .

يثبت صحة تلك الرؤية ، أن لفظ الانبغاء قد ورد بلفظه ومعناه مقرونًا بالكون المنفي في قوله تعالى : " ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك أولياء " الفرقان /١٨)[2] . " .

كما ورد اللفظ مقرونًا بأداة النفي " ما " في أكثر من موضع منها : " ما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدًا " مريم /٩٢ . وقوله تعالى: " وما تنزلت به الشياطين ، وما ينبغي لهم وما يستطيعون " الشعراء ٢١١/٢١. وقوله تعالى: " وما علمناه الشعر ، وما ينبغي له " الفرقان /٨ .

---

١ ينظر : فخر الدين الرازي ، المحصول في علم أصول الفقه ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٨م ، ج٦٦/١ ، وينظر : شكري المبخوت ، إنشاء النفي وشروطه النحوية الدلالية ، مركز النشر الجامعي ، تونس ، ٢٠٠٦م ، ص ٦٦ .

٢ مصطفى النحاس ، أساليب النفي في العربية " دراسة وصفية تاريخية " ، مطبوعات كلية الآداب والتربية ، جامعة الكويت ، ١٣٩٩هـ ، ١٩٧٩م ، ص ٥٦، ٥٧ .

أما اقتران دلالة الانبغاء بالكون المنفي فمنها الأمثلة الواردة في المواضع الآتية :

- المثال الأول : قوله تعالى : (مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ) ، سورة الفرقان / ١٨.

يقول ابن كثير : (أي: لا يليق بنا ولا يحسن منا أن نتخذ من دونك من أولياء نتولاهم ونعبدهم وندعوهم، فإذا كنا محتاجين ومفتقرين إلى عبادتك متبرئين من عبادة غيرك، فكيف نأمر أحدا بعبادتنا؟ هذا لا يكون)[١] . فالكون المنفي الذي تصدر السياق يعكس دلالة قوية ، وهي دلالة النفور من الفعل المشار إليه ، ويعكس دلالة قبحه ، وخطورته ، لأنه درن شرك ، يترفع العباد عن الوقوع فيه .

- المثال الثاني : قوله تعالى : (مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَانَهُ) " سورة مريم /٣٥

كانت التفاتات المفسرين إلى دلالة نفي الانبغاء واضحة ، حيث نص عليها بعضهم بلفظ (الانبغاء) صراحة ؛ فهذا الإمام السعدي يقول في هذه الآية : (إن المقصود ما ينبغي ولا يليق، لأن ذلك من الأمور المستحيلة، لأنه الغني الحميد، المالك لجميع الممالك، فكيف يتخذ من عباده ومماليكه، ولدا؟! (سُبْحَانَهُ) أي: تنزه وتقدس عن الولد والنقص [٢]) .

---

١ ابن كثير ،أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي ، " ت ٧٧٤هـ ، تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم) ، تحقيق محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، منشورات محمد علي بيضون ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٩هـ ، سورة الفرقان /١٨ .

٢ السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر عبد الله السعدي ، " ت ١٣٧٦هـ " ، تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) ، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة ، ط ١، ١٤٢٠هـ ، ٢٠٠٠م ، سورة مريم / ٣٥ .

- المثال الثالث : وقوله تعالى : (مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ) . يوسف /٣٨ .

كلما كان الفعل قبيحًا ، كانت درجة النفور منه أكبر ؛ وهل هناك أكبر من دفع شبهة الشرك بالله ؛ ومن ثم كانت صدارة الكون المنفي للسياق النافي عن وقوع الشرك بالله ، لذا يقول السعدي في هذا الموضع أيضًا : (أي: ما ينبغي ولا يليق بنا (أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ)، بل نفرد الله بالتوحيد، ونخلص له الدين والعبادة)[1] . بل إن الإمام القرطبي قد اختصر القول هنا بالنص على نفي الانبغاء حيث قال في هذا الموضع: ("ما كان " أي ما ينبغي [2]).

- المثال الرابع : قوله تعالى : (مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ) ، سورة آل عمران / ٧٩ .

ترتفع حدة النفي وقوته ، حينما ينسب إلى البشر عامة ، والأنبياء خاصة صفات ليست من صفاتهم ، أو تلصق بهم أوصاف ليست من أوصافهم ولا تليق باجتباء المولى لهم ؛ فتعلو معها قوة النفي، إلى حد القطع البات ؛ لذا يقول السعدي في هذه الآية : (يمتنع ويستحيل على بشر من الله عليه بإنزال الكتاب وتعليمه ما لم يكن يعلم وإرساله للخلق " أن يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله "، فهذا من أمحل المحال صدوره من أحد من الأنبياء عليهم أفضل الصلاة والسلام، لأن هذا أقبح الأوامر على الإطلاق، والأنبياء أكمل

---

١ السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر عبد الله السعدي ، " ت ١٣٧٦هـ " ، تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) ، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة ، ط ١، ١٤٢٠هـ ، ٢٠٠٠م ، سورة يوسف / ٣٨ .

٢ القرطبي ،أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، " ت ٦٧١هـ " ، تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م ، سورة يوسف / آية ٣٨ .

الخلق على الإطلاق، فأوامرهم تكون مناسبة لأحوالهم، فلا يأمرون إلا بمعالي الأمور وهم أعظم الناس نهيا عن الأمور القبيحة، فلهذا قال " ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون"، أي: ولكن يأمرهم بأن يكونوا ربانيين، أي: علماء حكماء حلماء معلمين للناس ومربيهم، بصغار العلم قبل كباره، عاملين بذلك، فهم يأمرون بالعلم والعمل والتعليم التي هي مدار السعادة، وبفوات شيء منها يحصل النقص والخلل، والباء في قوله " بما كنتم تعلمون " إلخ، باء السببية، أي: بسبب تعليمكم لغيركم المتضمن لعلمكم ودرسكم لكتاب الله وسنة نبيه، التي بدرسها يرسخ العلم ويبقى، تكونون ربانيين)[1].

- المثال الخامس : وقوله تعالى : (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) الأنفال /٣٣ .

ذكر المفسرون فيها عدة أوجه : (أحدها: أنّ المراد بالأَوّل (نفي التعذيب) عذاب الاستئصال والاصطلام، كما وقع بشأن الأُمَم الماضية، وبالثاني (وقوع التعذيب) عذاب القتل بالسيف والأسر بأيدي المؤمنين . كما في يوم بدر وغيره وأخيراً يوم الفتح .

ثانيها: أنّه أراد: وما لهم أنْ لا يُعذّبهم الله في الآخرة، ويُريد بالأَوّل عذاب الدنيا، قاله الجبائي.

ثالثها: أنّ الأَوّل استدعاءٌ للاستغفار، يُريد أنّه لا يُعذّبهم بعذابٍ دُنيا ولا آخرةً إذا استغفروا وتابوا، فإذا لم يفعلوا عُذّبوا . وفي ذلك ترغيبٌ لهم في التوبة

---

١ السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر عبد الله السعدي ، " ت ١٣٧٦هـ " ، تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) ، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة ، ط ١، ١٤٢٠هـ ، ٢٠٠٠م ، سورة آل عمران / ٧٩ . .

والإنابة . ثمّ إنّه بيّن وجه استحقاقهم للعذاب بصدّ الناس عن المسجد الحرام [1]).

ويبدو أن نفي الانبغاء يحمل في طياته دلالة نفي الاقتراب من الفعل ، لا نفي وقوعه ، وهو الأبلغ ؛ يدعم ذلك قول الاستراباذي حول هذا النمط من النفي الذي يعكس دلالة بديعة وهي: أن نفي القرب من الفعل أبلغ في انتفاء ذلك الفعل، من نفي الفعل نفسه). فتأويل القول: ما ينبغي أن يحدث كذا، أعمق دلالة من قولنا: ما يحدث كذا؛ فالأولى تنفي إمكانية الوقوع من الأساس وتؤكد عدم إمكان وقوع ذلك مستقبلاً، أما الثانية فلا تنفي إمكانية وقوع الحدث مستقبلاً؛ ومن ثم فنفي الانبغاء أعمق أثرًا في الدلالة على النفي).

١ ينظر : الطبرسي ، أمين الإسلام أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي ، مجمع البيان في تفسير القرآن ، دار المرتضى ، بيروت ، لبنان ، ط١، طبعة جديدة ومنقحة ، ١٤٢٧هـ ، ٢٠٠٦م ، ج٤/٥٤٠ ، وينظر : محمد هادي معرفة ، شبهات وردود حول القرآن الكريم ، مؤسسة التمهيد ، الجمهورية الإسلامية الإيرانية ، ص ٢٦٣/٢٦٤ .

الخاتمة

بفضل الله ونعمته ، تمت هذه الدراسة ، وقد خلصت إلى بعض النتائج هي :

أولاً : أثبتت الدراسة أن النحو العربي ما زال زاخرًا بالعديد من القضايا والمسائل ، التي تحتاج إلى إعادة درس ، في ضوء معطيات جديدة ؛ مما يؤدي إلى استكشاف خصائص جديدة لقواعد النحو، ما كان لها أن تظهر ، حال كونها مرهونة بقراءات تقليدية نمطية ، من هذه القضايا والمسائل : قضايا النفي عامة ، وقضايا الكون المنفي على وجه الدقة والتحديد .

ثانيًا : مثلت هذه الدراسة تلبية صريحة لدعوة إحياء النحو العربي عامة ، ودعوة إبراهيم مصطفى – منذ عشرات السنين – إلى ضرورة الالتفات إلى النفي خاصة ؛ حيث لم يفرد النحاة له بابًا مستقلاً بذاته ؛ ومن ثم كانت دعوته السالفة ؛ وقد لبت دراستنا تلك الدعوة ، ودرست النفي وأدواته في باب واحد ، وقرنت الأساليب التي وردت فيها سياقات تلك الأدوات ؛ وكان هذا من شأنه أن يكشف عن أبعاد جديدة من أحكام النفي ، وهو ما يؤكد ثراء لغتنا وحيويتها .

ثالثًا : كشفت الدراسة – اعتمادًا على الدرس السياقي – خروج الكون المنفي إلى دلالات أخرى غير النفي ، منها دلالة النهي ؛ مما منح النهي – في هذه الصيغة المنفية – قوة إنجازية كبيرة ؛ حيث عُصِمَ النهي من أن يكون المراد به الالتماس أو الدعاء ، وهو غير مراد ، وهذا ما يفسر اقتران دلالة الكون المنفي على النهي بسياقات تحريم الشرك ، وسفك الدماء ... إلخ ؛ كل ذلك يؤدي إلى ضرورة الامتثال لما نهي عنه ، لما عكسه التعبير بالنفي من دلالات التنفير من المنهي عنه .

رابعًا: كشف الدرس السياقي، لسياقات النهي الوارد بصيغة الكون المنفي، أن المنهي عنه ذو خطر عظيم على كيان الأمة وحياتها ، إعرابًا عن الاهتمام به، وإبلاغًا في كراهية وقوعه، كما أن دلالة النهي الوارد بصيغة الكون المنفي؛ قد عكس دلالة أبدية الحكم، وعدم انقطاعه ، حتى في الأزمنة

المستقبلة ، كما يعكس في الوقت ذاته أزلية الحكم ؛ حيث إنه لم يتغير في الأزمنة الماضية ؛ لأنه من الفطرة .

خامسًا : أثبتت الدراسة أن دور المفسرين لا يقل أهمية عن دور النحاة واللغويين، في الكشف عن الوظائف النحوية ، والوقوف على أبعادها الدلالية العميقة، بل إن التفاتات المفسرين قد فاقت أحيانًا أقرانهم من النحاة واللغويين؛ إذ إن التفاتات المفسرين – غالبًا – كانت تتسم بالبعد الجمالي ، بصورة أكبر من التفاتهم إلى جمود القواعد، ومدى الالتزام بها أو الخروج عنها .

سادسًا : أكدت الدراسة أن النفي يقف على حد سواء مع الإثبات في الأهمية الدلالية ، إن لم يكن يفوقه في بعض الأحيان ؛ فقد كشفت الدراسة تلك القوة الإنجازية للأفعال الواردة في سياقات الكون المنفي من ناحية ، وكذلك القوة الإنجازية لأفعال الكون المسبوقة بأدوات النفي ؛ مما يؤكد أن إعادة قراءة تراثنا النحوي في ضوء معطيات علم اللغة الحديث عامة ، والأبعاد التداولية للأدوات النحوية خاصة ، قد أمست أمرًا ملحًّا للغاية .

سابعًا : حسمت الدراسة الجدل الدائر حول عدد من المسائل المتعلقة بالنفي وقضاياه ؛ منها على سبيل المثال لا الحصر : رأي من قال أن النواسخ الفعلية " ومنها أفعال الكون " : إنها أفعال ، وبين من رأى غير ذلك مثل (الاستراباذي)؛ حيث كشف الارتكاز حول السياق أن هذا الجدل أمر شكلي، إذ كان التمركز حول لفظ تلك الأفعال ، وليس سياقاتها ؛ ومن ثم فإن معيار الحسم هو السياق الواردة فيه تلك الصيغ ، وليس لفظ الصيغة ذاتها .

ثامنًا : أبرزت الدراسة ضرورة تفعيل فكرة (حيز النفي) ؛ إذ إنها تمنح الدرس النحوي عامة ، ومبحث النفي خاصة ، سعة كبيرة ؛ حيث تلفت تلك الفكرة الأنظار نحو مدى تأثير العوامل على امتداد السياق بأكمله ، ومدى انعكاس ذلك على الدلالة ، وذلك على نطاق أوسع من محدودية النظر إلى العوامل ووظائفها المعروفة بها مسبقًا ، فالسياق وحده يهب العوامل قيمها .

تاسعًا : كشفت الدراسة – في ظل إفراد النفي في مبحث مستقل بذاته – الفروق الدقيقة بين عدد غير قليل من المصطلحات المتعلقة بباب النفي ومنها: (النفي، والجحد، والسلب، والإيجاب، والمطلق، والمقيد، والانبغاء) ، تلك الفروق التي لم يكن لتبرز إلا في ضوء جمعها في ظل بوتقة لغوية واحدة، ويجمعها سياقات متقاربة، هي سياقات النفي على اختلاف أنواعه وتعددها ، وهو ما يدعم أهمية إعادة طرح كثير من أبواب النحو وفقًا لرؤى جديدة ، ومتطورة .

المراجع والمصادر

- إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة ، ط. لجنة البيان العربي، ط. ١٩٦٥م.
- إبراهيم خليل ، السياق وأثره في الدرس اللغوي " دراسة في ضوء علم اللغة الحديث " ، مطبوعات الجامعة الأردنية ، عمان ، ١٩٩٩م .
- إبراهيم مصطفى ، إحياء النحو ، ط لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٥١ م .
- أحمد مختار عمر ، علم الدلالة ، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٩٨٢م .
- أحمد ماهر البقري ، أساليب النفي في القرآن ، دار المعارف ، القاهرة ، ط ١٩٩٨ م .
- إميل يعقوب المعجم المفصل في شواهد النحو الشعرية ، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٢م .
- الأزهري : خالد بن عبد الله الأزهري ، شرح التصريح على التوضيح ، وبهامشه ، حاشية يس بن زيد الدين العلمي ، ط. دار إحياء الكتب العربية ، طبعة الحلبي وشركاه ، د . ت .
- الأمين الشنقيطي ، الدرر اللوامع على همع الهوامع ، ، وضع حواشيه ، محمد باسل ، ط١، دار الكتب العلمية بيروت ، ١٩٩٩م .
- الاستراباذي ، رضي الدين ، شرح الكافية ، بنغازي ، منشورات قار يونس ، ط٢ ، ١٩٩٦م .
- الأشموني : نور الدين أبو الحسن علي بن محمد الأشموني ، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ، القاهرة ، عيسى الحلبي ، ط ١، د.ت .
- الألوسي ، روح المعاني ، دار الفكر ، ١٤١٧هـ ، ١٩٩٧م .
- ابن أبي الأصبع المصري ، بديع القرآن ، تحقيق : حنفي محمد شرف ، ط . نهضة مصر ، الفجالة ، ١٩٥٧ م .

- براجشتراسر ، التطور النحوي للغة العربية ، القاهرة ، مطبعة السماح ، ١٩٢٩م .
- البخاري ، صحيح البخاري " فتح الباري " ، في كتاب الحج ، باب المدينة تنفي شراراها ، رواه الترمذي في المناقب ، باب ما جاء في فضل المدينة .
- البغوي ، أبو محمد الحسين بن سعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي ، " ت ٥١٠هـ " ، تفسير البغوي (معالم التنزيل في تفسير القرآن) ، تحقيق : عبد الرازق المهدي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٠هـ .
- البقاعي : نظم الدرر في تناسب السور ، تحقيق : عبد الرازق غالب المهدي، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٥م.
- تمام حسان ، اللغة العربية "معناها ومبناها " ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٣م ،وطبعة عالم الكتب ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٩٨م .
- جلال الدين السيوطي ، معجم الأدوات النحوية وإعرابها في القرآن الكريم ، تحقيق الشيخ عبد العزيز عز الدين السيروان ، ، يوسف علي بديوي ، ط١، دار ابن هانئ ، ١٩٨٨م
- ابن جني ، الخصائص ، تحقيق : محمد علي النجار ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط٣ ،١٩٨٦م .
- ابن جني، سر صناعة الإعراب تحقيق ، د.حسن هنداوي ، ط٢ ، دار القلم ، دمشق ، ١٩٩٣م .
- أبو حيان الأندلسي : البحر المحيط ، القاهرة ، ١٣٢٨هـ ،وطبعة دار الفكر ، ١٤١٢هـ ، ١٩٩٢م .
- خليل أحمد عمايرة ، أسلوب النفي والاستفهام في العربية " في منهج وصفي في التحليل اللغوي " ، سلسلة دراسات وآراء في ضوء علم اللغة المعاصر ، ٧ ، جامعة اليرموك ، د.ت.

- الرضي : محمد بن حسن الرضي ، شرح الكافية ، استنابول ، الشركة الصحافية العثمانية ، ، ط١ ، ١٣١٠هـ .
- الراغب الأصفهاني ، المفردات ، تحقيق محمد السيد كيلاني ، مطبعة الحلبي ، ١٣٨١هـ ، ١٩٦١م .
- الزمخشري : جار الله أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر ، ٤٦٧هـ – ٥٣٨ هـ ، الكشاف ، المكتبة التجارية ، القاهرة ، ١٣٥٤هـ، وطبعة دار الريان للتراث ، ط٢ ، ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م .
- ستيفن أولمان ، دور الكلمة في اللغة ، ترجمة د.كمال بشر ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٧٢م .
- سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ١٨٠ هـ ، الكتاب ، تحقيق :عبد السلام هارون ، دار الجيل ، بيروت ، ط ١ ، د.ت ، وانظر: سيبويه، ، الكتاب ، القاهرة ، المطبعة الأميرية ، ١٨٩٨م.
- ابن سيده ، أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي (ت ٤٥٨هـ)، المخصص ، ط بيروت ، المكتب التجاري للطباعة .
- ابن السراج ، الأصول في النحو ، ط٣ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٦٦م .
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر عبد الله السعدي ، " ت ١٣٧٦هـ "، تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) ، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة ، ط ١، ١٤٢٠هـ ، ٢٠٠٠م .
- شكري المبخوت ، توجيه النفي في تعامله مع الجهات والأسوار والروابط ، دار الكتاب الجديد ، المتحدة ، ط ١ ، ٢٠٠٩م .
- شكري المبخوت ، إنشاء النفي وشروطه النحوية والدلالية ، مركز النشر الجامعي ، تونس ٢٠٠٦م .

- الشوكاني : محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، فتح القدير " الجامع بين فني الرواية والدراية " من علم التفسير ، ط . مصطفى الحلبي ، ١٣٥٠هـ .
- ابن الشجري ، هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة الحسني العلوي : الأمالي ، تحقيق : د. محمود محمد الطناحي ،الخانجي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٩٢م .
- الطبرسي ، أمين الإسلام أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي ، مجمع البيان في تفسير القرآن ، دار المرتضى ، بيروت ، لبنان ، ط١، طبعة جديدة ومنقحة ، ١٤٢٧هـ ، ٢٠٠٦م .
- الطبري ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآمالي أبو جعفر الطيب ، " ٢٢٤-٣١٠هـ " ، تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن) ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، ط ١، ١٤٢٠هـ ، ٢٠٠٠م .
- الطاهر ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، الدار التونسية ، ١٩٨٤م .
- عبده الراجحي ، فصول في علم اللغة ، ط١، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٩٧م .
- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، تحقيق : محمود محمد شاكر ،الخانجي ، ط١٩٨٤م .
- عباس حسن : النحو الوافي ، دار المعارف ، مصر ،الطبعة الثالثة، د. ت .
- علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، ط الحميدية المصرية، ١٣٢١هـ.
- ابن عاشور ،. ابن عاشور ،محمد الطاهر بن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، المعروف بـ (تفسير ابن عاشور) ،الدار التونسية للنشر ، ط ،٢٠٠٨م .

- ابن عربي ، أحكام القرآن ، ت. محمد علي البجاوي ، دار الفكر العربي ، د. ت .
- ابن عطية ، المحرر الوجيز ، تحقيق المجلس العلمي بفاس ، ١٤١٣هـ ، ١٩٩٢م .
- أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، الجامع الصحيح (صحيح البخاري) ، عناية محمد زهير الناصر ، دار طوق النجاة ، ط١ ، ١٤٢٢هـ .
- الغزالي ، معيار العلم في فن المنطق ، ط . دار الكتب العلمية ، بيروت ، بشرح أحمد شمس الدين ، ١٩٩٠م .
- فخر الدين الرازي ، المحصول في علم أصول الفقه ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٨م .
- فخر الدين الرازي ، التفسير الكبير ، دار الغد العربي .
- فرانك بالمر ، علم الدلالة " إطار جديد " ، ترجمة صبري إبراهيم السيد ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ،١٩٩٢م .
- فندريس ، اللغة ، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ، محمد القصاص ، د.ط. القاهرة مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٥٠ .
- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي ، " ت ٧٧٤هـ ، تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم) ، تحقيق محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، منشورات محمد علي بيضون ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٩هـ .
- الفراء ، يحيى بن زياد بن عبد الله منظور ١٤٤هـ – ٢٠٧هـ ، معاني القرآن ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٥٥م .
- ابن فارس ،أحمد بن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق :عبد السلام هارون ، الدار البيضاء ، بيروت ، د.ت.

- القرطبي ،أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، " ت ٦٧١هـ " ، تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م .
- كمال بشر ، دراسات في علم اللغة ، ط دار المعارف ، مصر ، د.ت.
- محمد حسن الرضي ، شرح الكافية ، استنابول ، الشركة الصحافية العثمانية ، ط ١ ، ١٣١٠هـ.
- محمد جمال القاسمي ، محاسن التأويل ، ط. الحلبي ، ١٩٥٧م ، ج١٩٥/٢ .
- محمد شكري عياد ، معجم المصطلحات اللغوية والأدبية ، د.ط. الرياض ، دار المريخ للنشر ، ١٩٨٤ .
- محمد علي الخولي ، معجم علم اللغة النظري ، بيروت ، مكتبة لبنان ، ط١، ١٩٨٢م .
- محمد فخر الدين الرازي: (مفاتيح الغيب ، المشتهر بالتفسير الكبير)، وبهامشه : تفسير العلامة أبي السعود ، ط الحسينية ، مصر.
- محمد أبو موسى ، من أسرار التعبير القرآني " دراسة تحليلية لسورة الأحزاب " ، ط٢ ، ١٤١٦هـ ، ١٩٩٦م .
- محمد هادي معرفة ، شبهات وردود حول القرآن الكريم ، مؤسسة التمهيد ، الجمهورية الإسلامية الإيرانية د.ت .
- محمود توفيق محمد سعد ، صورة الأمر والنهي في الذكر الحكيم ، مطبعة الأمانة ، ط١، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م .
- محمود السعران : علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، عالم الكتب ، بيروت ، ط١ ، ١٩٦٢م .
- مصطفى النحاس ، أساليب النفي في العربية "دراسة وصفية تاريخية"، مطبوعات كلية الآداب والتربية، جامعة الكويت، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م .

- موفق الدين يعيش بن يعيش ، شرح المفصل ، مكتبة المتنبي ، القاهرة ، د.ت.
- المبرد، الكامل في اللغة والأدب ، تحقيق : حنا الفاخوري ،دار الجيل، بيروت، ط٢ ،١٩٩٧م.
- المرادي : بدر الدين الحسن بن قاسم (ت ٧٤٩هـ) ، الجنى الداني في حروف المعاني ، تحقيق الدكتور : فخر الدين قباوة ، محمد نديم فاضل ، المكتبة العربية بحلب ، دمشق ، ط ١ ، ١٩٧٣ م .
- المكودي : أبو زيد عبد الرحمن بن علي بن صالح المكودي ، شرح المكودي على ألفية ابن مالك ، ١٣٥٥هـ ، ١٩٣٦ م .
- ابن المنير ، حاشية ابن المنير على الكشاف ، دار الريان للتراث .
- نهاد الموسى : نظرية النجو العربي في ضوء علم اللغة الحديث ، دار البشير ، عمان ، ط٢ ، ١٩٨٥م .
- النسفي ، عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي أبو البركات ، مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، المشهور بـ(تفسير النسفي) ، تحقيق يوسف علي بديوي ، محيي الدين ديب مستو ، ط . دار الكلم الطيب ، ١٤١٩هـ ، ١٩٩٨م
- يحيى أحمد ، الاتجاه الوظيفي ودوره في اللغة ، مجلة عالم الفكر ، م٢، ع٣، ١٩٨٠ .
- يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني ، ط . المقتطف ، مصر ، ١٣٣٢هـ ، ١٩١٤هـ .
- ابن يعيش : أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش بن محمد بن أبي السرايا الموصلي الحلبي ، موفق الدين " ٥٥٦هـ- ٦٤٣ هـ " ، شرح المفصل ، القاهرة ، إدارة الطباعة المنيرية ،وطبعة مكتبة المتنبي ، القاهرة ، د. ت .

- هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة الحسيني العلوي ، آمالي ابن الشجري ، تحقيق : د. محمود محمد الطناحي ، ط١، الخانجي ، القاهرة ، ١٩٩٢م .
- ابن هشام الأنصاري : أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل – بيروت –لبنان ، الطبعة الخامسة ، ١٣٣٩هـ ، ١٩٧٩م .
- ابن هشام : جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله (٧٠٨-٧٦١هـ) ، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، تعليق محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، المكتبة التجارية ، د.ت.
- أبو هلال العسكري : الصناعتين ، تحقيق : د. مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٩م .
- ابن يعيش ، شرح المفصل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ٢٠٠١م .